الأوبئة في الإمبراطوريّة الرومانيّة
(وباء أنطوني أنموذجاً 166– 189م)

د. محسن يوسف محمد. قسم التاريخ/ كليّة الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة البعث

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول هذا البحث بالدراسة وباء أنطوني الذي ظهر في العام 166م، واستمرّ بحسب المصادر التاريخية حتّى العام 189م. ظهر الوباء في الشرق بالتوازي مع حملة الإمبراطور لوكيوس فيروس على الإمبراطورية البارثية، ثمّ انتشر بسرعة كبيرة عبر الإمبراطورية الرومانية حتّى وصل إلى أقصى غرب الإمبراطورية الرومانيّة. وكان لسرعة انتشاره عوامل عدّة أهمها حركة الفرق العسكرية الرومانية، واحتشاد الجنود ضمن ثكناتهم، وحركة المسافرين والتجار وتشجيع الرومان للنشاطات المجتمعية المغلقة.

وتزامن انتشار الوباء مع الفترة التي اشتهر بها الطبيب جالينوس، لذلك فقد كتب جالينوس تشخيصاً للمرض والأعراض التي أصابت المريض به، فقدّم بذلك مادّة علمية مهمة ساعدت على دراسة المرض، وعلى الاستنتاج بأنّ المرض كان هو

الجدري وليس الطاعون.

ترك وباء أنطوني تأثيراته على مختلف النواحي في الإمبراطورية الرومانية، فعانى السكان من عدد هائل من الوفيات، وأُصيب الاقتصاد الروماني بركود كبير نتيجة انخفاض القدرة الانتاجية وتراجع الحركة التجارية وهجر الأراضي الزراعية. وقد حاولت الحكومة الرومانية مُمثّلة بالإمبراطور ماركوس أوريليوس التصدّي لآثار الوباء من خلال جملة من الخطوات والقوانين، إلا أنّ تلك الإجراءات لم تمنع من استمرار الوباء في عهد الإمبراطور كومودوس.

كلمات مفتاحية: روما، وباء، أنطوني، جالينوس، الجدري، ماركوس أوريليوس، ديو كاسيوس،

The search summary in English

This paper deals with the study of the Anthony epidemic that appeared in the year 166 AD, and continued according to historical sources until the year 189 AD. The epidemic appeared in the east in parallel with the campaign of Emperor Lucius Virus on the Parthian Empire, then it spread very quickly through the Roman Empire until it reached the far west of the Roman Empire. The speed of its spread had several factors, the most important of which was the movement of the Roman military divisions, the gathering of soldiers within their barracks, the movement of travelers and merchants, and the Romans' encouragement of closed community activities.

The spread of the epidemic coincided with the period during which Doctor Galen was famous, so Galen wrote a diagnosis of the disease and the symptoms that afflicted the patient with it, thus providing important scientific material that helped study the disease, and to conclude that the disease was smallpox and not the plague.

The Anthony's epidemic had its effects on various aspects in the Roman Empire, as the population suffered a huge number of deaths, and the Roman economy fell into a major recession as a result of the decline in production capacity, the decline in commercial activity and the abandonment of agricultural lands. The Roman government, represented by Emperor Marcus Aurelius, tried to address the effects of the epidemic through a number of steps and laws, but these measures did not prevent the epidemic from continuing during the reign of Emperor Commodus.

Key words: Rome, B, Anthony, Galen, Smallpox, Marcus Aurelius, Dio Cassius, Marcomani, Historia Augusta**.**

مخطّط البحث

- مقدمة.

أولاً: حقائق عامّة عن وباء أنطوني وطبيعته.

ثانياً: لمحة تاريخية عن الأوبئة التي ضربت أوربة قبل وباء أنطوني.

ثالثاً: مصدر وباء أنطوني وعوامل انتشاره في الإمبراطورية الرومانيّة.

1- مصدر الوباء.

2- عوامل انتشار الوباء.

أ- التجارة و السفر.

ب- النشاطات المجتمعية المغلقة.

ج- التحركات العسكرية.

رابعاً: انتشار الوباء عبر الإمبراطورية.

خامساً: تشخيص الطبيب كلاوديوس جالينوس لوباء أنطوني.

1- نبذة تاريخية عن الطبيب جالينوس ومكانته في العصر الروماني.

2- أعراض الوباء بحسب تشخيص جالينوس.

سادساً: تأثيرات وباء أنطوني على مجمل الإمبراطورية الرومانية.

1- تأثيراته الديموغرافية.

2- تأثيراته الاقتصادية.

3- تأثيراته على الجيش الرومانيّ.

سابعاً: الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانيّة للتصدّي لآثار وباء أنطوني.

1- إجراءات مُوجّهة إلى المدنيين الرومان.

2- إجراءات موجّهة إلى الاقتصاد الروماني.

3- إجراءات مُوجّهة إلى الجيش الروماني وتحركاته العسكرية.

- خاتمة.

- قائمة المصادر والمراجع.

مقدّمة:

تعرّضت البشرية، عبر تاريخها، لسلسلة طويلة من الأوبئة والأمراض المستعصية التي حصدت آلاف الضحايا. ولم تكن الإمبراطورية الرومانية بمنأى عن تلك الأوبئة، بل نالت نصيبها منها. إلا أنّ أشهر تلك الأوبئة كان" وباء أنطوني" الذي صُنّف كأحّد أسباب اضمحلال الإمبراطورية الرومانيّة، وحجز مكانه في قائمة أسوأ الأوبئة التي عرفتها البشرية. ولا عجبَ في ذلك فقد ترك هذا الوباء آثاره المدمّرة على البشر والحجر، وصدحت المصادر التاريخية بحجم الخسائر التي ترتّبت عليه.

ويحتل وباء أنطوني مكانة كبيرة في التاريخ الروماني بشكل عامّ، وفي تاريخ الطبّ القديم بشكل خاصّ، على اعتبار أنّه اقترن بالفترة التي عاش واشتهر فيها الطبيب اليوناني كلاوديوس جالينوس(Claudius Galenus)(129- 200م). كما أدّى هذا الوباء إلى تغييرات مهمة في مجرى الأحداث في الإمبراطورية الرومانية، فأوقفت روما، بسببه، حربها على الجبهة الشرقية، وكان من جملة الأسباب التي أدّت إلى الفوضى على حدود نهر الدانوب.

بدأ المرض في العام 166م، وانتشر كالنار في الهشيم حتى وصل إلى ولاية بريطانية غرباً، وترافقت ذروة الوباء مع هجوم للقبائل الألمانية على جبهة الدانوب مما شكّل عامل ضغط مضاعف على الحكومة الرومانية التي وجدت نفسها

محاصرة بالوباء وبهجمات الألمان. وبالرغم من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانية للتصدّي للوباء، إلّا أنّ المرض استمرّ في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس(Marcus Aurelius)(161- 180م)، وولده الإمبراطور كومودوس(Commodus)(180- 192م).

يشمل الإطار الزماني لهذا البحث الفترة بين 166 و 189م، وتمّ اختيار هذين العامين كبداية ونهاية للإطار الزماني بناءً على أول وآخر إشارة لذلك المرض في المصادر التاريخية.

أمّا الإطار المكاني فيشمل الإمبراطورية الرومانية بحدودها المعروفة من نهر الفرات شرقاً إلى بريطانية غرباً، ومن مصر جنوباً إلى بحر البلطيق شمالاً.

- مشكلة الدراسة:

يضع التعامل مع موضوع كوباء أنطوني أمام الباحث مشكلات أساسية تطويها تساؤلات مهمّة ينبغي الإجابة عليها. تلك التساؤلات تتلخّص في: ماهي طبيعة وباء أنطوني؟ و لماذا سُمي بهذا الاسم؟ وما هو مصدره؟ وما هي أسباب انتشاره؟ وكيف استفاد العِلم الحديث من تزامن الوباء مع الفترة التي عاش فيها الطبيب جالينوس؟ وما هي التأثيرات التي تركها على عموم الإمبراطورية الرومانية؟ وكيف تعاملت الحكومة الرومانية مع تأثيراته السلبية؟. وغيرها من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات أكاديمية وافية.

- هدف الدراسة:

تفتقر المكتبة العربية إلى أبحاث أكاديمية تعالج موضوعات حضارية كوباء أنطوني، حيث ركّزت أغلب الدراسات على الجوانب السياسية وأهملت التفاصيل الحضارية بالرغم من أهميتها. لذلك فإنّ هذا البحث يهدف إلى أنْ يكون إضافة علمية إلى المكتبة العربية، وأنْ يُقدّم للباحثين في مجال التاريخ الروماني مادّة علمية أوليّة تُمكّنهم من صياغة رسالة أو أطروحة أكاديمية عن هذا الموضوع.

وعلى اعتبار أنّ البشرية تكافح، اليوم، ضدّ وباء فتّاكٍ يتمثّل بوباء كورونا، فإنّه يبدو من المناسب هنا استنطاق المصادر ودراستها لتقديم دراسة أكاديمية تفتح أعين الناس على ضرورة التوعية الصحية بخصوص أنّ الأمراض والأوبئة ليست مادة للاستهتار بها، بل هي أمر واقع حصد ملايين الضحايا على مرّ التاريخ، لذلك لابدّ من التعامل معها بصورة عقلانية، والابتعاد عن الأخطاء التي وقع بها السالفون.

– أهمية الدراسة:

تُعدّ دراسة وباء أنطوني وتأثيراته على الإمبراطورية الرومانية موضوعاً بالغ الأهمية في دراسة التاريخ الحضاري للإمبراطورية الرومانية، إذْ أنّ دراسة الأوبئة ونظرة المجتمع الروماني لها، يجعل من التاريخ بوتقة ينصهر فيها السياسة والطبّ والاقتصاد والدين، خاصّة أنّ الفترة التي وقع بها وباء أنطوني كانت تتوافق مع الفترة التي عاش بها الطبيب جالينوس الذي شكّل بشخصيته ومؤلّفاته مادّة علمية دسمة منذ القرون الوسطى حتّى يومنا هذا.

– منهج الدراسة:

تفرض دراسة التاريخ القديم على الباحث اعتماد المنهجين التحليلي والاستقرائي في آنٍ واحد، إذْ أنّ المعلومات التي جاءت في المصادر الأدبية اللاتينية واليونانية لا تكفي بمفردها لمعرفة الحجم الحقيقي لتأثير الوباء على مجمل الإمبراطورية الرومانية وولاياتها، لذلك كان لابدّ من استقراء ما بين السطور، وتحليل المعلومة لتقديمها بطريقة علمية مُبسّطة بعيدة عن الركاكة التي تحتويها المصادر الأدبية أحياناً.

– مصادر الدراسة:

تُعدّ المصادر العمود الفقري لأيّ بحث أكاديمي، فهي مُرشد المؤرّخ وأداته في تكوين معلوماته. وتنقسم المصادر التاريخية التي اعتمّد عليها هذا البحث إلى قسمين: الأوّل، وهو المصادر الأدبية أو الكتابية، وتُقدّم هذه المصادر معلومات

موثوقة من أفراد عاصروا الحدث وشاركوا فيه، أو من أشخاص كتبوا عن الحدث بعد فترة قصيرة، ولكنّهم اعتمدوا في معلوماتهم على وثائق عاصرت الحدث.

وعلى اعتبار أنّ وباء أنطوني قد وقع في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، لذلك فإنّ أغلب مصادره كانت باللغتين اليونانية واللاتينية، وتنوعّت مصادره بين مؤلّفات تاريخية وكتابات طبّية.

والحقيقة، أنّ الطبيب جالينوس كان المصدر الوحيد الذي توسّع قليلاً في وصف الوباء، أمّا بقيّة المصادر فأوردت إشارات متفرّقة فقط. وأهمّ المصادر التي أشارت إلى وباء أنطوني كان المؤرّخ الروماني ديو كاسيوس(Dio Cassius) في كتابه الموسوم بـ" التاريخ الروماني(Roman History)[1]"، والمؤرّخ الروماني أميانوس مارسيلينوس(Ammianus Marcellinus) في كتابه الموسوم بـ" تاريخ أميانوس(Ammianus History)"، والمؤرّخ إيوتروبيوس(Eutropius) في كتابه الموسوم بـ" مختصر التاريخ الروماني(Abridgment of Roman History)"، والمجموعة التاريخية المعروفة اصطلاحاً باسم" الهيستوريا أوغسطا"(Historia Augusta)" أو تاريخ القياصرة، والمؤرّخ باولوس أوروسيوس في كتابه "التواريخ ضدّ الوثنية (Histories against the Pagans)".

أمّا القسم الثاني، فهو المصادر الأثرية، وتُعنى هذه المصادر بآخر ما توصّلت إليه الأبحاث الأثرية من معلومات عن وباء أنطوني. وتأتي أهمّية هذه المصادر من تأكيدها لبعض المعلومات الواردة في المصادر الأدبية من ناحية، وتقديمها لمعلومات جديدة من ناحية أخرى. وقد حاول البحث الاعتماد على جديد الأبحاث التي تمّت في القرن الحادي والعشرين بشكل خاصّ على اعتبار أنّها تمّت بتقنيات علم الآثار الحديثة، وجاءت تتويجاً لآخر ما كشفته معاول الآثاريين.

[1] يتوفّر ترجمة عربية لأجزاء من كتاب ديو كاسيوس(التاريخ الروماني)، وتشمل الترجمة العربية، التي قام بها الأستاذ مصطفى غطيس، الكتب من 71 إلى 80 فقط. وللوقوف على التوثيق الكامل لهذه الترجمة، راجع قائمة المصادر في نهاية البحث.

– الدراسات السابقة، وجديد هذه الدراسة:

شغل وباء أنطوني حيّزاً كبيراً من اهتمام المؤرخين والباحثين وأساتذة الطبّ في العصر الحديث، وقدّم هؤلاء إنتاجاً علمياً لا بأس به. ولكنّ، ومع الأسف، فإنّ جميع الدراسات عن وباء أنطوني كانت باللغات الأجنبية، مما جعل المكتبة العربية تقف صامتة بخصوص حدث مهم كهذا الوباء الذي ترك بصمته في التاريخ الروماني.

وأهمّ العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع، باللغة الانكليزية، كان الأستاذ دوكان جونز(Duncan–Jones)، والأستاذ روبرت ليتمان(R. Littman)، والأستاذ دراكوس ميتروفان(Mitrofan. D). أمّا باللغة الايطالية، فعالجه الأستاذ سيريو فيورينو(Sirio Fiorino). ولكنّ من خلال دراسة أبحاث هؤلاء الأساتذة[1]، فإنّ القارئ يلاحظ أنّهم قدّموا معلوماتهم من دون ترجيح رأي محدّد خاصّة فيما يتعلّق بمصدر الوباء أو طبيعته العلمية. كما عالج هؤلاء العلماء جانباً محدداً من الوباء دون تضمين كافّة الجوانب كعوامل انتشاره أو تأثيراته أو الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانية للتصدي له.

لذلك فإنّ هذا البحث سيحاول دراسة المصادر بدقّة ومقاطعة ما ورد في المصادر الصينية مع ما جاء في المصادر اللاتينية لتحديد المصدر الحقيقي للمرض، وإذا ما كانت الصين هي مصدر المرض. وإبراز دور المراكز التجارية في انتقال الوباء إلى الداخل الروماني. كما حاول هذا البحث تلافي النقص الذي جاء في الدراسات السابقة بخصوص تقديم دراسة لآثار الوباء بشكل عامّ والإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانية للتصدّي له.

[1] للوقوف على التوثيق الكامل للدراسات السابقة، راجع قائمة المراجع في نهاية البحث.

أولاً: حقائق عامّة عن وباء أنطوني وطبيعته:

1- وباء أنطوني هو مرض غامض ضرب الإمبراطوريّة الرومانيّة في العام 166م[1]، وبقي، بالاستناد إلى ما جاء في المصادر الرومانيّة، في مستوى الوباء لفترة تزيد على العقدين من الزمن(166- 189م)[2]. وكان أعنف وأسوأ وباء تتعرض له الإمبراطورية الرومانية حتّى تاريخه[3].

2- عُرف هذا الوباء باسم" وباء أنطوني" لأنّه بدأ بالانتشار في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس أنطونينوس أوغسطس(Marcus Aurelius Antoninus Augustus)، فاقترن الاسم الأوسط للإمبراطور(أنطونينوس) بهذا المرض، ولكنّ هذا الوباء استمرّ في عهد خلفه الإمبراطور كومودوس[4].

والجدير بالذكر، أنّ بعض العلماء يقرنون الوباء بالطبيب كلاوديوس جالينوس الذي عاصر المرض وكتب عنه، فيُطلقون عليه اسم" وباء جالينوس"[5]. و لكنّ ظلّ مصطلح" وباء أنطوني" الأكثر انتشاراً.

3- لا يوجد في المصادر التاريخية ما يُشير إلى كيفية زوال الوباء وانتهاءه، وكل ما أوردته المصادر كان إشارات إلى الخطوات التي قامت بها روما للتصديّ لآثار الوباء[6]. غير أنّ تحديد العام 189م كنهاية للإطار الزماني لهذا البحث، كان بناءً

---

[1] Littman. R; Galen and the Antonine Plague, The American Journal of Philology, Vol. 94, No. 3, (Autumn, 1973), p243.

[2] Munoz-Sanz. A; Marco Aurelio Antonino (121-180 d. C.), filósofo y emperador de Roma, y la peste de Galeno, Enferm Infecc Microbiol Clin. 2012; 30 (9), p 553.

[3] McLynn. F; Marcus Aurelius: A Life, , MA: Da Capo Press, Cambridge, 2009, p459.

[4] كاسيوس، ديون: التاريخ الروماني، الجزء العاشر، الكتب LXXI- LXXX، تقديم وترجمة وتعليق: مصطفى غطيس، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، المملكة المغربية، 2013م، ص 52.

[5] Wright. J; History's worst plagues and the heroes who fought them, Macmillan Publishing Group, LLC., New York, 2017, p16. ; Munoz-Sanz. A; op, cit, p 552. ; Littman. R; op, cit, p243.

[6] Historia Augusta, Marcus Aurelius, XIII, 1, 6.

وللوقوف على الخطوات التي قامت بها روما للتصديّ لآثار الوباء انظر الفقرة الأخيرة من هذا البحث.

على آخر إشارة تاريخية محددة إلى للوباء، وهي التي أوردها المؤرّخ ديو كاسيوس[1].

3- تُشير المصادر اللاتينية إلى الوباء بمُصطلح" plaga" التي تعني في الأصل " الضربة أو السكتة الدماغية". غير أنّ هذا المصطلح اكتسب في اللاتينية اللاحقة معنى إضافي يدلّ على الوباء أو الطاعون[2].

ومن الأهمية بمكان القول، بأنّ مصطلح" الطاعون(pestis)" لم يكتسب دلالته الحديثة كمرض جرثوميّ مُحدّد إلا في القرن السابع عشر الميلاديّ، لذلك لم يكن له المعنى نفسه في النصوص اللاتينية واليونانية[3]. أيّ أن المصادر كانت تشير إلى جميع الأمراض الوبائية، المجهولة بالنسبة إليهم، بمصطلح طاعون سواءً أكانت جدري أمْ طاعون أمْ غيرها[4].

4- دار نقاش طويل بين العلماء حول طبيعة وباء أنطوني، وفيما إذا كان هو الطاعون الدُمّلي(Bubonic plague)[5] أو الجدري(Smallpox)[1]. و لكنّ الرأي

---

[1] Dio Cassius; Roman History, LXXII, 14, 3- 4.

[2] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; La peste antonina e il declino dell'Impero Romano, Ruolo della guerra partica e della guerra marcomannica tra il 164 e il 182 d.C. nella diffusione del contagion, Le Infezioni in Medicina, No. 4, 261-275, 2009, p261.

[3] Carmichael. A. G; Universal and Particular: The Language of Plague(1348-1500), Medical history Supplement, No. 27, pp17- 19.

[4] Duncan-Jones. R; The Impact of the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology, No. 9, 1996, pp108- 110. ; Wright. J; op, cit, p19.

[5] الطاعون: هو مرض معدٍ شديد الخطورة تسببه بكتيريا تُدعى (يرسينيا بيستيس) أو الباكتيرية الطاعونية، وينتقل عن طريق البراغيث، وكان يعد من الأمراض الوبائية شديدة الانتشار، وهو يصيب الإنسان والحيوان. يُسبب الطاعون بكتيريا حيوانية المصدر، توجد عادة في بعض القوارض (مثل: السناجب، أو كلاب البراري، أو الفئران)، والثدييات الصغيرة وبراغيثها. وتمتد فترة الحضانة للبكتريا من يوم إلى سبعة أيام. وحمل الطاعون على مرّ التاريخ مسمّيات متعدّدة منها الموت العظيم، والموت الأسود، والطاعون الأسود. وأثبت العلماء وجود ثلاثة أنواع للطاعون هي:

أ- الطاعون الدبلي أو الدُمّلي(العقدي): وهو أحد أكثر أنواع الطاعون شيوعًا. ويتصف بعقد ليمفاوية متضخمة، ويمكن، في المراحل المتقدمة من العدوى، أن تتحول الغدد الليمفاوية إلى قروح مفتوحة مملوءة بالصديد، ومن النادر انتقال الطاعون الدبلي من إنسان إلى آخر.

ب- الطاعون الرئوي: يعتبر الأكثر خطورة، إذْ يمكن أن تكون فترة الحضانة قصيرة تصل إلى 24 ساعة فقط. ويحدث الطاعون الرئوي عندما تصيب بكتيريا الطاعون الرئتين. ويمكن أن ينتقل هذا النوع

الرأي المُرجّح أنْ الوباء كان مرض الجدري بالاستناد إلى تشخيص الطبيب جالينوس[2]، هذا التشخيص الذي أُفرد له فقرة مستقلّة لاحقاً.

ثانياً: لمحة تاريخية عن الأوبئة التي ضربت أوربة قبل وباء أنطوني:

من الصعب، استناداً إلى المصادر التاريخية المتوافرة، تحديد مستوى انتشار الأوبئة، وطبيعتها العلمية في العالم القديم. وفي الوقت نفسه، لا يمكن الجزم أنّ حالات التفشّي الوبائي كانت نادرة لأنّ الإشارة إليها في المصادر التاريخية محدودة. فمن المتعارف عليه فيما يتعلّق بالعصور التاريخية القديمة أنّ قلة الإشارات التاريخية لا تعني دائماً عدم وقوع الحدث، بل قد يعود ذلك إلى ضياع النصوص التاريخية التي وثّقت تلك الحالات، أو ربّما إلى تركيز معظم المصادر التاريخية على النواحي السياسيّة، وإهمالها لبقية النواحي من حياة المجتمع.

من الطاعون من شخص إلى آخر عن طريق الهواء. ويمكن أن ينتقل عن طريق استنشاق بكتيريا الطاعون المتواجدة في رذاذ تنفس شخص أو حيوان مصاب بالطاعون الرئوي. وينتشر رزاز الجهاز التنفسي عن طريق السعال أو العطس. بيد أن الإصابة بهذه الطريقة عادة تستلزم احتكاك مباشر وقريب (نحو ستة أقدام) من الإنسان أو الحيوان المريض.

ج- طاعون تلوث الدم: ويحدث عندما تنتشر بكتيريا الطاعون في الدم. ويمكن أن يرجع سببه إلى مضاعفات الطاعون الرئوي أو الدبلي ومن الممكن أن يحدث ذاتيًا. ولا ينتقل طاعون تلوث الدم من شخص إلى آخر. انظر:

Scott. S. Duncan. C, J; Biology of Plagues: Evidence from Historical Populations, Cambridge University Press, Cambridge. 2001, p2. ; Byrne. J; Encyclopedia Of Pestilence, Pandemics, And Plagues, Greenwood Press, London, 2008, pp 482-531.

[1] الجدري: من بين الأمراض الأكثر فتكا بالبشرية على الإطلاق. وقد تسبب هذا المرض في قتل نحو 30% من الأشخاص الذين أصيبوا به عبر التاريخ. أما الناجون فقد رافقهم العمى، وندوب عميقة جداً، وعلامات على الجلد، إضافة إلى تشوهات أخرى، مثل فقدان الشفاه والأنف وأنسجة الأذن. ويُعتقد أن الجُدري نشأ في الهند أو مصر قبل 3000 عام على الأقل، حيث عُثر على مومياء مصرية مصابة به، وهي مومياء الفرعون رعمسيس الخامس(Ramses V)(1149- 1145 ق.م)، إذْ تحمل المومياء دليل إصابة بمرض الجدري، فيغطى الرقبة والصدر والوجه بثور صغيرة بارزة.

أمّا أعراض الجدري فعادةً ما تظهر بعد 12- 14 يوما من الإصابة. وتشمل أعراضه الحمى، الصداع، التعب الشديد، آلام الظهر الشديدة، والتقيؤ. وبعد بضعة أيام، تظهر البقع الحمراء المسطحة أولا على الوجه واليدين والساعدين، وبعد ذلك على الجذع. وفي غضون يوم أو يومين، يتحول العديد من هذه البقع إلى بثور صغيرة مليئة بسوائل شفافة، تتحول فيما بعد إلى قيح. تبدأ قشور الجروح (Scabs) في التكون بعد ثمانية إلى تسعة أيام، ثم تسقط في نهاية المطاف تاركة وراءها ندوبا عميقة. انظر:

Byrne. J; op, cit, pp 647- 650.

[2] Littman. R; op, cit, p245.

تحتوي إلياذة هوميروس(Homerus) على أوّل توثيق للأوبئة التي ضربت أوربة في العصر اليوناني، فيذكر الشاعر اليوناني هوميروس، الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، أنّ الإله أبولون(Apollon)[1] غضب على الجيش الإغريقي، المحاصر لمدينة طروادة(Troy)، فسلّط عليهم الطاعون الذي أهلك المئات منهم[2].

ويحفظ المؤرّخان اليونانيان توكوديدس(Thucydides) في كتابه" تاريخ الحرب البلوبونيزية"، وبلوتارخوس(Plutarchus) في كتابه " السِير المتقابلة" توثيقاً للوباء الثاني الذي ضرب بلاد اليونان، وتعارف العلماء على تسميته اصطلاحاً بـ" طاعون أثينا"[3]، فيذكر توكوديدس أنّ وباءً قاتلاً، مصدره مصر، ضرب الجيش الأثيني خلال حربه مع مدينة إسبارطة(Sparta) في العام 430 ق.م[4]. أمّا بلوتارخوس

[1] أبولون: من أشهر الآلهة اليونانية، هو ربّ الشمس والنبوءة والموسيقى والشباب، ودفع الأذى عن الناس. اشتهرت ديلوس مسقط رأسه كأكبر مركز لعبادته حيث كانت تُقام أعياد ومهرجانات كل أربعة أعوام تعرف باسم الأعياد البوثية نسبة إلى بوثية مكان أقدم معابد عبادته. وكان معبده في دلفي يُعدّ من أكثر المعابد الاغريقية قدسية على الإطلاق، يحجّ إليه الناس من كل حدب وصوب لاستشارته في أمور خاصة وعامّة. والإسكندر الأكبر(Alexander the Great)(356- 323ق.م) نفسه زار هذا المعبد قبل البدء بحملته الشرقية على الإمبراطورية الأخمينية. انظر: بلوتارك(فلوطرخوس): تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، المجلّد الثالث، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، 2010م، ص1266. سلامة، أمين: الأساطير اليونانية والرومانيّة، دار الفكر العربيّ، 1988م، ص25، 84.

López Pérez. R; Apolo y Dioniso: A favor y en contra. Revista Chilena de Semiótica, 10 (58–73), 2019, p60. ; Chabrečková. B; Apollo and His Cult in the Geometric and Archaic Periods, Bachelor's Diploma Thesis, Masaryk University, Faculty of Arts Department of Archaeology and Museology, 2014, pp 7- 46.

[2] Homer; The Iliad, I, 43- 52.

[3] Cunha. B; The Cause of the Plague of Athens: Plague, Typhoid, Typhus, Smallpox or Measles? Infectious Disease Clinics of North America, No. 18. 2004, pp29- 43. ; Morens. D and Littman. R; Epidemiology of the Plague of Athens, Transactions of the American Philological Association, No. 122, 1992, pp 271- 304. ; Soupios. M. A; Impact of the Plague in Ancient Greece, Infectious Disease Clinics of North America, No. 18, 2004, pp 45 -51.

[4] Thucydides; History of the Peloponnesian War, II, 47- 58.

فيذكر أنّ مرضاً وبائياً أصاب مدينة أثينا، أدّى إلى إصابة المرضى به بالعمى، وكان سبّبه اكتظاظ الناس واحتشادهم في مساحات ضيّقة[1].

تحدث فجوة تاريخية بخصوص الأوبئة، بعد طاعون أثينا، تمتد حتّى العام 205 ق.م، فيُسجّل المُؤرّخ الروماني ليفيوس(Livius) في كتابه" التاريخ الروماني" حدوث طاعون في إيطاليا في ذلك العام[2]، ثمّ يُشير إلى طاعون آخر ضرب روما في العام 178 ق.م[3]. ولكنّ ليفيوس لا يُقدّم أي شروحات في كِلا المرتين التي ضرب بهما الطاعون العاصمة روما.

الطاعون الثالث الذي ضرب روما، وجرى توثيقه من قِبل ليفيوس، كان طاعون العام 174 ق.م، وهنا بالتحديد يُقدّم ليفيوس بعض المعلومات فيذكر: " بدأ الطاعون بقتل الماشية، ثمّ انتقل إلى الناس. أولئك الذي تعرّضوا للإصابة لم يتعافوا بسهولة في اليوم السابع من إصابتهم بالمرض، أمّا أولئك الذي تعافوا بعد اليوم السابع، فقد ظلّوا يُعانون من تأثيرات طويلة الأمد... لقد مات العبيد بشكل خاصّ، وانتشرت الجثث على امتداد الطُرق، وبقيت الجثث على حالها، حتى الكلاب والنسور لمْ تلمسها" [4].

تُؤكّد إشارة ليفي إلى أنّ المرض أصاب العبيد بشكل خاصّ، صحّة كلامه بخصوص أنّ المرض بدأ بقتل الماشية، إذْ من المعروف أنّ العبيد في العصر الرومانيّ، كان يُسند إليهم مهام التعامل مع الحيوانات كرعيها أو ذبحها أو مُداواتها في حال مرضها[5].

---

[1] بلوتارك(فلوطرخوس): تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، المجلّد الأول، ص388.

[2] Livy; History of Rome, XXVII, 46, 15.

[3] Livy; History of Rome, XLI, 5, 11.

[4] Livy; History of Rome, XXXIX, 41. ; XI , 19 ,6 -8 ; 36, 13 -37. ; XLI, 21, 5- 10.

[5] للمزيد عن المهام والأعمال التي قام بها العبيد في العصر الروماني، راجع : حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان 117- 118، كانون الثاني- حزيران، دمشق، 2012م، ص53- 88. ومن الكتب الحديثة التي صدرت و عالجت موضوع العبيد والمهام الموكلة إليهم، راجع:

وعلى اعتبار أنّ ليفي لم يُحدّد ما هو ذلك المرض الذي ضرب روما، لذلك فإنّ باب الفرضيّات قد بقي مفتوحاً على مصراعيه، مع ترجيح مرض الطاعون الدُمّلي[1].

تعود الفجوة التاريخية فيما يخصّ الأوبئة حتّى عهد الإمبراطور نيرون(Nero) (54- 68م)، فيذكر المُؤرّخان الرومانيان سويتونيوس(Suetonius) في سرده " لسِيَرْ القياصرة"، وتاكيتوس(Tacitus) في كتابه" الحوليات" أنّه" في عهد الإمبراطور نيرون، وخلال خريف واحد، سُجّل موت 30 ألف شخص بسبب الطاعون[2].

الوباء التالي الذي جرى تسجيله في المصادر التاريخية، كان الطاعون الذي ضرب روما في أعقاب ثوران بركان فيزوفيوس(Vesuvius)[3] في العام 79م أي في عهد الإمبراطور تيتوس(Titus)(79- 81م). الذي بذل جهوداً كبيرة للحيلولة دون انتشار المرض. فعمل على تقديم المساعدة للمُتضرّرين من المرض المُترافق مع زلزال مُدمّر ضرب روما. كما قام بتقديم الأضاحي للآلهة لتشفع لسكّان روما وترفع عنهم ذلك الوباء[4].

Knapp. R; Invisible Romans Prostitutes, Outlaws, Slaves, Gladiators, Ordinary Men And Women…The Romans That History Forgot, Profile Books Ltd, London, 2011, pp105- 142.

[1] Ziolkowski. A.; The plundering of Epirus in 167 B.C.: Economic considerations, 1986, p76.

[2] Suetonius; Lives of the Caesars, Nero, XXXIX, 1. ; Tacitus; Annals, XVI, 13. 1- 3.

[3] بركان فيزوفيوس: يُعرف أيضاً باسم فيزفوس(Vesvus) أو فيزفيوس(Vesvius). أشهر بركان في التاريخ الرومانيّ، يقع على ساحل كمبانيا(Campania) بالقرب من بلدات بومبي(Pompeii) وهركولانيوم (Herculaneum) ونيابوليس (Neapolis). اعتبره الرومان بُركاناً خامداً لفترة طويلة من الزمن، حتّى أنّ الثوار العبيد بقيادة سبارتاكوس(Spartacus) اتّخذوا منه مأوى أثناء ثورتهم في سبعينيّات القرن الأوّل قبل الميلاد. وفي 29 أب من العام 79م حصلت الكارثة بانفجار هذا البركان الذي تسبّب بمحو المُدن المحيطة به ودفنها تحت الرماد. وكان هذا البركان السبب في فقدان العالم الموسوعيّ "بليني الأكبر" لحياته أثناء محاولته تسجيل ملاحظات علميّة عنه. انظر:

Bunson. M; Encyclopedia of the Roman Empire, New York, 2002, p 576.

[4] Historia Augusta, Titus, VIII, 3- 4.

وشهد عهد الإمبراطور هادريان(Hadrian)(117- 138م) حدوث وباء جديد، حاول الإمبراطور، بحسب مجموعة الهيستوريا أوغسطا، التعامل معه للخروج بأقلّ الخسائر[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ المصادر التاريخية، سواء أكانت سويتونيوس، أم تاكيتوس، أم الهيستوريا أوغسطا، لم تُقدّم معلومات كافية تُفيد بتشخيص نوعية تلك الأوبئة التي ضربت روما بين عهدي نيرون وهادريان، وكُلّ ما قدمته كانت إشارات مُتقطّعة لا تكفي للجزم بنوعية تلك الأوبئة.

ثالثاً: مصدر وباء أنطوني و عوامل انتشاره في الإمبراطورية الرومانيّة:

بدأ وباء أنطوني في الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية، وانتشر عبر أسية الصغرى حتّى وصل إلى العاصمة روما وإلى ولاية بريطانية غرباً. وساهمت عوامل عدّة في انتشار العدوى واستفحالها. لذلك سيتمّ في هذه الفقرة دراسة مصدر الوباء من خلال ما جاء في المصادر التاريخية، ومن ثمّ تقديم تحليل علمي للعوامل التي ساهمت في انتشاره.

1- مصدر الوباء:

تنسب المصادر التاريخية وباء أنطوني إلى منطقة الشرق، مع تفاوت في تسمية المنطقة بالتحديد. فيذكر المصدر الصيني المعروف باسم الهو هان شو(Hou Han shu)، أو سجلات الهان، أنّ مرضاً مجهولاً وقع في شمال الصين وأسية الوسطى بحدود العام 160م، وانتشر ذلك المرض بسرعة كبيرة عبر خطوط التجارة البريّة والبحرية. ثمّ بدأ بحدود العام 162م بالتفشّي بين أفراد الجيش الصيني الذي كان يتمركز على الحدود الشماليّة لإمبراطورية الهان الصينية(206 ق.م- 220م). وخلال سنة واحدة خسر جيش الهان ما يُقارب ثلث أفراده العاملين، ومات ثلاثة أو أربعة من كل عشرة رجال[2].

[1] Historia Augusta, Hadrian, XXI, 5.

[2] Hou Hanshu; LXV/ LV. 2133.

أمّا المصادر الرومانية فتذكر، أنّ المرض كان مصدره منطقة أسية الغربية، فأورد المؤرّخ ديو كاسيوس أنّ المرض بدأ في أرمينيا(Armenia)[1]، وبلاد ما بين النهرين(Mesopotamia)، حين كانت القوات الرومانية، بقيادة الإمبراطور المُشارك[2] لوكيوس فِيروس(Lucius Verus)(161– 169م)، تخوض حرباً شرسة ضدّ القوات البارثية على جبهة الفرات وأرمينيا[3].

وفي ظلّ الإيمان القديم بالغيب والآلهة، فإنّ مجموعة الهيستوريا أوغسطا، في سردها لسيرة الإمبراطور لوكيوس فيروس، تذهب إلى أنّ المرض كان مصدره مدينة سلوقية دجلة (Seleucia–Tigris)[4]، وأنّ الإله أبولون حلّ بغضبه على الجنود الرومان الذين نهبوا مدينة سلوقية بعد منحها الأمان. لذلك وما أنْ قام أحّد الجنود الرومان بفتح تابوت ذهبي في معبد الإله أبولون في سلوقية، حتّى هبّت منه ريح وبائيّة انتشرت بين الجنود الرومان بسرعة كبيرة[5].

---

[1] أرمينيا: تقع إلى الشرق من آسيا الصغرى، بين بحر قزوين والبحر الأسود، يقسمها نهر الفرات إلى أرمينيا الكبرى وأرمينيا الصغرى. و بقيت أرمينية، لعدّة عقود، النقطة المركزيّة في الصراع البارثي الرومانيّ. كانت أرمينيا الصغرى تقع بين بونتوس(Pontus) وكبادوكيا(Cappadocia)، بينما امتدت أرمينيا الكبرى عبر نهر الفرات على طول الحدود البارثية الواسعة. أخضع القائد الروماني بومبيوس(Pompeius)(63 -49 ق.م)أرمينية الكبرى، وغدت مملكة تابعة للحكم الروماني. أمّا أرمينيا الصغرى فارتبطت بكبادوكيا. انظر:

Bunson. M; op, cit, pp 38, 39.

[2] عرفت الإمبراطورية الرومانية نوعاً من المشاركة في الحكم في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس، فتولّى لوكيوس فيروس منصب الإمبراطور بالمشاركة مع الإمبراطور ماركوس أوريليوس. للمزيد عن هذه التشاركية في الحكم، انظر:

Orosius; Histories against the Pagans, VII ,15, 1.; Historia Augusta, Marcus Aurelius, VII, 5- 6. ; Bunson. M; op, cit, p 573.

الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط 2، دار النهضة العربية ،القاهرة ،1991م، ص276- 278.

[3] Dio Cassius; Roman History, LXXXI, 2.

[4] سلوقية دجلة: هي موقع تل عمر القديمة، على بعد حوالي 30 كم جنوب شرق بغداد اليوم. كانت مدينة ضخمة في وسط بلاد ما بين النهرين. أورد بليني أنّ عدد سكانها في أيامه(في القرن الأول الميلاديّ) كان يُقارب 600 ألف نسمة، مما يجعلها في مصافِ المُدن الأكبر في العالم القديم. كما وصف بليني أسوارها فشبّهها بالنسر الباسط لجناحيه. انظر:

Strabo; the Geography of Strabo, XVI, 1, 16. ; Pliny; N. H, VI, 30, 122- 123. ;

[5] Historia Augusta, Verus, VIII, 2.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الميثولوجيا اليونانية قد نسبت إلى الإله أبولون، القدرة على جعل البشر يُصابون بالأمراض والأوبئة، وفي نفس الوقت القدرة على شفاءهم منها[1]. وهذه الصورة للإله أبولون هي السبب في ربط الهيستوريا أوغسطا بين الإله أبولون ووباء أنطوني[2].

والحقيقة، أنّ ما جاء في مجموعة الهيستوريا أوغسطا يحمل مصداقية تاريخية لا بأس بها، إذْ كانت مدينة سلوقية دجلة، المذكورة، إحدى النقاط الرئيسية التي انتهى إليها طريق الحرير[3] القادم من الصين شرقاً، كما كانت وُجهة رئيسيّة للتجار

---

[1] يحيى، أسامة عدنان: السحر والطبّ في الحضارات القديمة، أشور بانيبال للكتاب، بغداد، 2016م، ص61- 65، 199- 202.

[2] Jackson. R; Doctors and Diseases in the Roman Empire, British Museum Press, London, 1988, p 140.

[3] طريق الحرير: هو طريق تجاري مهم عبر العصور المختلفة. وأول من أطلق مُصطلح طريق الحرير على هذا الخطّ التجاري، المُمتدّ من الصين إلى البحر المُتوسط، كان الجغرافيّ الألمانيّ فريدينانند فون ريختوفين(Ferdinand von Richthofen)(1833- 1950م) في إشارة إلى السلعة الأشهر التي مرّت عبره و هي الحرير الصيني. بخصوص المصطلح و التسمية انظر:

Christian. D; Silk roads or steppe roads? The Silk roads in world history, Journal of World History, 2000, No 11. 1, p 2.

ولمْ يكن طريق الحرير مُجرّد طريق واحد تسلكه القوافل من الصين إلى المُتوسّط، وإنّما كان شبكة من الطُرق التجارية الإقليمية التي التقت في أسية الوسطى لتتابع طريقها نحو غربي أسية. وانطلق الفرع الأول من هذه الطرق البرية من مدينة تاكسيلا(Taxila) شمالي الهند نحو عمق أسية الوسطى، أما الفرع الثاني، وهو الطريق الجنوبيّ: فكان يُتابع طريقه عبر قندهار(Kandahar)، إلى هرات(Herat)ومنها إلى مدينة إكباتانا (Ecbatana)، البارثيّة، ومنها نحو أسواق بلاد ما بين النهرين في نصيبين، وسلوقية، والعاصمة البارثية طيسفون(Ctesiphon).

أمّا الخطّ الرئيسيّ لطريق الحرير، فانطلق من مدينة لويانج(Luo yang)عاصمة الهان الشرقيين، ومنها نحو مدينة تشانجان(Changan) عاصمة الهان الغربيين، ليصل إلى مدينة كاشغار(Kashgar)، و منها نحو حواضر بلاد ما بين النهرين في طيسفون وسلوقية، أو النقطة الحدودية في نصيبين، ومنها إلى أنطاكية وبقية أسواق المتوسط. وتُقدّر الدراسات الحديثة المسافة الكُلّية لطريق الحرير من مدينة لويانج إلى مدينة طيسفون بما يزيد على سبعة آلاف كيلومتر. انظر من المصادر:

Strabo; the Geography of Strabo, II, 1, 15.

ومن المراجع:

Warmington. E. H; The Commerce between the Roman Empire and India, Curson Press, London, 1928, pp 20, 21. ; Avari. B; India: The Ancient Past A history of the Indian sub-continent from c. 7000 B. C to 1200 A. D, Rutledge, New York, 2009, p 135. ; Liu. X; Ancient India and Ancient China: Trade and Religious Exchanges, 1–600 AD, Oxford University Press, Oxford, 1994, pp2- 11.

الرومان القاصدين بلاد ما بين النهرين للحصول على السلع الشرقيّة. ويُشير نقش من مدينة تدمر(Palmyra)، يُؤرَّخ بالعام 19م، إلى أنّ مدينة سلوقية دجلة كانت مُلتقى للجاليات التجاريّة اليونانيّة والتدمريّة[1]. أضف إلى أنّ سلوقية دجلة كانت تقع على القناة التي تصل نهري دجلة والفرات مما سمح لها بالحصول على السلع التجارية من كِلا الممرّين المائيين المهمّين[2]. لذلك من المرجّح جداً أنْ يكون الوباء قد انتشر في سلوقية أولاً بحكم صلاتها التجارية مع أسية الوسطى ومنها مع الصين، وكونها سوقاً مفتوحة يختلط فيها التجار من شتّى بقاع العالم المعروف آنذاك.

ويُعيد المُؤرّخ الروماني أميانوس مارسيلينوس، هو الآخر، مصدر المرض إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، فيُورد في تعبيره عن مدى انتشار المرض عبر الإمبراطورية الرومانيّة: " حمل هذا المرض الخراب من حدود فارس على امتداد الطريق إلى الراين(Rhine) وبلاد الغال(Gaul)"[3].

ويشترك المؤرّخ أيوتروبيوس مع المصادر السابقة في جعل الشرق البارثي مصدراً للوباء فيُورد: " فُقدت جيوش بأكملها في أعقاب الانتصار البارثي، لأنّ مرضاً مُدمّراً أصاب القسم الأكبر من سكّان الإمبراطورية"[4].

أمّا لوقيان السميساطي، فيذكر أنّ المرض بدأ في مدينة نصيبين قبل أنْ يظهر في مدينة سلوقية وبلاد ما بين النهرين السفلى[5].

---

[1] Inventaire des inscriptions de Palmyre, IX, 6.

[2] McLaughlin. R; Rome and the Distant East, MPG Books Group Ltd, New York, 2010, p95.

[3] Ammianus Marcellinus; Ammianus History, XXXI, 6, 24.

[4] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

[5] Lucian of Samosata; How to Write History, XV.

لوقيانوس السميساطي: أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة: سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق، 1987م، ص249.

و من الأهمية بمكان القول، أنّ مدينة نصيبين كانت هي الأخرى، مثل سلوقية دجلة، إحدى المحطّات الرئيسية التي ينتهي إليها طريق الحرير القادم من الشرق الأقصى، إذْ منحها موقعها الاستراتيجي في وسط بلاد ما بين النهرين العُليا، بين أعالي دجلة والفرات، أهمّية تجاريّة كبيرة، فكان ينتهي إليها قسم من السلع الحريريّة القادمة من الصين و بالتالي كانت مكاناً لالتقاء التجّار من الشرق و الغرب.

و فيما يلي جدول توضيحي لمكان نشوء وباء أنطوني بحسب ما جاء في المصادر الشرقية والغربية:

المصدر التاريخي	مكان نشوء الوباء	توثيق المعلومة
سجلات الهان الصينية	شمال الصين، وأسية الوسطى	LXV/ LV,2133
ديو كاسيوس(التاريخ الروماني)	أرمينيا، وبلاد مابين النهرين	LXXXI, 2
مجموعة الهيستوريا أوغسطا(في سيرة لوكيوس فيروس)	مدينة سلوقية دجلة	VIII, 2
أميانوس مارسيلينوس(تاريخ أميانوس)	الحدود الرومانية البارثية(دون تحديد مكان بعينه)	XXIII, 6, 24
أيوتروبيوس(مختصر التاريخ الروماني)	الشرق البارثي(دون تحديد مكان بعينه)	VIII, 12
لوقيان السميساطي(كيف يجب أنْ يُكتب التاريخ)	مدينة نصيبين	XV

ويدلّ تقاطع المصادر التاريخية السابق الذكر على أنّ الشرق الأقصى كان بالفعل هو مصدر المرض، فعلى اعتبار أنّ المؤرخين الرومان لم يكن لديهم معلومات

عن انتشار المرض في أسية الوسطى والصين، لذلك فقد ركّزوا اهتمامهم على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، تلك الحدود التي كان يصلها القوافل والتجّار برّاً عبر طريق الحرير وبحراً عبر الخليج العربي ومنه إلى تدمر والساحل السوري.

2- عوامل انتشار الوباء:

وُجدت عوامل عدّة، في العصور القديمة، ساهمت بانتشار الأمراض، تلك العوامل شملت التجارة ، والسفر، والنشاطات المجتمعية المغلقة، وحركة الجيش. وسيتمّ هنا توضيح طبيعة تلك العوامل ودورها في انتشار الوباء.

أ- التجارة و السفر:

لعبت الأسواق التجارية المزدحمة بالناس القادمين من مناطق مختلفة من الإمبراطورية دوراً بانتشار الوباء على نطاق واسع. وشهد العصر الروماني تطوراً ملحوظاً في تقنيات السفر البحرية، فطرأت تعديلات تقنية على السفن التجارية مما ساهم في زيادة حجمها وسرعتها[1]. ويبدو صدى ذلك التحسّن في المصادر الرومانيّة التي تذكر أنّ السفن كان بإمكانها، في حال توفّر رياح مواتية، السفر مسافة 100 ميل في اليوم، بشكل وسطيّ. ويذكر العالِم الرومانيّ بليني الأكبر،

[1] كشفت التنقيبات التي تمّت في ميناء برنيكي(Berenike) على الساحل الغربي للبحر الأحمر عن وجود فُسحات عريضة لرسو السفن الرومانيّة. تلك الفسحات كانت قادرة على استيعاب سفن بطول 33 متر، وهو ما يجعل تلك السفن قادرة على نقل شحن يُقارب وزنه حوالي 350 طن، وكان بإمكان بعض تلك السفن زيادة حمولتها لتصل إلى 500 طن، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ قسم لابأس به من قدرة السفينة الاستيعابية كان يُخصّص للطاقم والمؤون. انظر:

Hopkins. K; Models, ships and staples', in Garnsey, P. and Whittaker, C. R, Trade and Famine in Classical Antiquity, Cambridge shire: Cambridge Philological Society,1983, pp98, 99.; Sidebotham. S; Berenike and the Ancient Maritime Spice Route, University of California Press, 2011, p195.

في موسوعة" التاريخ الطبيعي" أنّ الرحلة من مدينة الإسكندرية المصريّة إلى ميناء بيوتولي(Puteoli)[1] في شبه الجزيرة الإيطاليّة استغرقت(9) أيّام فقط[2].

ومما لا شكّ فيه أنّ هذا التطوّر في تقنيات السفر قد زادَ من فرص انتقال الأمراض المُعدية من ميناء لآخر خاصّة أنّ احتشاد التجّار والمسافرين مع بعضهم البعض في حيّز مكاني محدود كان يساهم في تطوير المرض وازدياده خلال الرحلة الطويلة.

ويلوم المؤرخ الروماني بليني الأكبر التجّار الرومان العاملين في التجارة الشرقية، ويُحملهم مسؤولية انتشار الأمراض على اعتبار أنّ الشرق، برأيه، هو مصدر الأمراض المعدية. ويرى بليني أنّ هؤلاء التجّار لم يجلبوا معهم سوى السلع الكمالية[3] التي تزيد الفجور والمرض في المجتمع الروماني[4].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي انتشر فيه الوباء، قد شهد زيادة في العلاقات التجارية البحرية بين روما والشرق الأقصى، إذْ سجّلت المصادر الصينية، لأول مرة، أنّ مجموعة من التجار الرومان قد وصلوا

---

[1] ميناء بيوتولي: هو ميناء بوزّولي(Pozzuoli)الحاليّ. وهو أحّد الموانئ الرئيسيّة على ساحل كمبانيا غربيّ إيطالية، وكان البوابة التجارية الرئيسيّة التي تستقبل التجارة من الإسكندريّة وإسبانية ومُعظم غربيّ البحر المتوسّط. انظر:

Suetonius; Augustus , XCVIII. ; Bunson. M; op, cit, p461.

[2] Pliny; N. H, XIII, 3- 4.

[3] يقصد بليني بالسلع الكمالية البضائع التي كان يشتريها التجار لتلبّي رغبات الطبقة الثرية في المجتمع الروماني. تلك السلع كان أهمّها الحرير و التوابل والعاج، وصدف السلحفاة وغيرها. للمزيد عن التجارة الرومانية مع الشرق و طبيعة سلع تلك التجارة، انظر:

Suetonius; Caligula, LII. ; Pliny; N. H, XIII, 2. Martial; Epigrams, XIV, 28. ; Ovid; Fasti, II, 209.

[4] تعجّ المصادر اليونانية والرومانية بمعارضة الأدباء والكتاب الرومان للتجارة الشرقية ولإنفاق الأموال الطائلة لاستيراد السلع التي ترضي رغبات الطبقة الراقية في المجتمع الروماني. انظر:

Tacitus; Annals, II, 33.; Pliny; N. H, XIII; 4. XII, 41. ;Ovid; The Calendar, IV, May 2. ; Juvenal; Satires, VI, 457- 507.; Martial; Epigrams, V, 59.

إلى الصين في حوالي العام 166م، وقابلوا الإمبراطور الصيني" هواندي ليو زهي(Huandi Liu Zhi)(146- 168م)"[1].

والحقيقة، أنّه كانت لخطوط التجارة البرية، هي الأخرى، دور كبير في قدوم المرض وانتشاره[2]، وتمّت الإشارة في الفقرة السابقة إلى إجماع المصادر الرومانية على أنّ الحدود الشرقية، التي كانت تشتمل على المحطّات التجارية الرئيسية مثل سلوقية دجلة و نصيبين، كانت هي مصدر الوباء.

ب- النشاطات المجتمعية المغلقة:

تُعدّ البيئات المزدحمة طبيعة مثالية لانتشار الأمراض المعدية، فقد كانت العاصمة روما مدينة ضخمة يحتشد فيها آلاف الناس في آنٍ واحد[3]. ويُشير المؤرّخ هيروديان الأنطاكي إلى أنّ اكتظاظ الناس في روما كان عاملاً أساسياً في تفشيّ الوباء[4]. وإشارة هيروديان كانت صحيحة، إذْ كان لتشجيع المجتمع الرومانيّ للنشاطات الترفيهية العمومية، كالمباريات والأنشطة الجسمانية، دور كبير في زيادة العدوى. فإذا كان مُدرّج الكولسيوم(Colosseum)[5] الشهير يتّسع بمفرده

[1] Hou Hanshu; LXXXVIII,12. ;Birley, A; Marcus Aurelius, Taylor & Francis e-Library, New York, 2000, p 144.

[2] Duncan-Jones. R; op, cit, pp108, 109.

[3] Stephens. W; Marcus Aurelius: A Guide For The Perplexed, Continuum International Publishing Group, New York, 2012, p40.

[4] Herodian; History of the Roman Empire, I, 12, 1-2.

[5] الكولسيوم: أو المدرّج الفلافي، هو تركيب معماريّ له شكل بيضاوي، بدأ بنائه الإمبراطور فسباسيان(Vespasian)(69- 79م) في العام 72 أو العام 75م، وأكمله ولده تيتوس. واستمرّت بعض أعمال البناء حتّى العام 81م أي حتّى عهد الإمبراطور دومتيان(Domitian)(81- 96م). عمل في بنائه حوالي 30 ألف شخص. وكان يتّسع، بعد إنجازه، لحوالي 73 ألف مُتفرّج. استُخدم الكولسيوم لإقامة المسابقات والمشاهد العامة مثل المعارك البحرية الوهمية، وقتال الحيوانات المتوحّشة، وللمبارزات بين المجالدين، وإعادة تمثيل المعارك الشهيرة. ويُعدّ الكولسيوم الإنجاز المعماريّ الأكبر والأجود في تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة. انظر:

Claridge. A; Rome. Oxford Archaeological Guide, Oxford, 1998, p 278. ; Pearson, J; The Story Of the Colosseum, London, 1973, pp 75- 80. ; Sear. F; Roman Architecture, Ithaca, Cornell University Press, 1982, p 23

لحوالي(73) ألف مُتفرّج[1]، فإنّ للقارئ الحقّ في تخيّل الوضع الوبائي الذي سينتج في حال كان العشرات منهم فقط حاملين للمرض.

والحقيقة، أنّه من الطبيعي في مدينة ذات كثافة سكانية عالية كروما أنْ ينتشر المرض خاصّة أنّ السكان لم يكن لديهم خبرات معرفية أو طبية في التعامل مع مرض طارئ كمرض الجدري أو الطاعون مثلاً.

كما ساهمت الحمامات الرومانية العمومية بانتشار الوباء نتيجة لضخامتها أولاً، واحتشاد مئات الناس فيها في آنٍ واحد ثانياً[2]، ونتيجة للنصيحة الطبيّة اليونانية التي كانت تُوصي بالاستحمام للتخلّص من السموم والأمراض ثالثاً[3].

ج- التحركات العسكرية:

شكّلت حركة أفراد الجيش الروماني عنصراً أساسيّاً في الانتشار المُبكّر للمرض، خاصّة أنّ أول ظهور للمرض كان بين أفراد الجيش الروماني الذي كان يحارب على الجبهة الشرقية[4].

كما عانى الجنود الرومان، الذين اشتركوا في وجبات الطعام والسكن، خسائر كبيرة تزيد على ثلث تلك التي عانى من جيش الهان الصيني[5]. أضف إلى أنّ احتشاد القوات الرومانية التي كانت تحارب على جبهة الدانوب شمالاً، قد شغل دوراً كبيراً

---

[1] Castex. J; Architecture of Italy, Greenwood Press, London, 2008, pp 35- 38.

[2] تُقدّم حمامات الإمبراطور كركلا(Caracalla)(211- 217م) مثالاً رائعاً على ضخامة الحمامات الرومانية، فقد كانت تغطي تلك الحمامات حوالي خمسين فدان(أي حوالي 210 دونم)، ويمكن أن تستوعب ما لا يقل عن 1600 مستحم. انظر:

Castex. J; op, cit, pp4- 7.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحصون الرومانية المخصّصة للقوات المرابطة على الحدود الرومانية كانت تحتوي، هي الأخرى، على حمامات كمرفق ضروري للجنود. انظر:

Pollard, N., Soldiers, Cities, and Civilians in Roman Syria, Michigan University Press, 2000, p51.

[3] يتمحور الكتاب الرابع من الموسوعة الطبيّة للعالم اليوناني" كليسوس" حول دور الحمّام الساخن في التخلّص من الأمراض والسموم والصداع، وضرورة تعريض المريض لمثل هذا الحمام. انظر:

Celsus, On Medicines, IV, 2- 28.

[4] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص279.

[5] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, Pen & Sword Military, Great Britain, South Yorkshire, 2010, p210.

في زيادة انتشار المرض ليصل إلى حاشية الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي كان متواجداً هناك حينها[1].

رابعاً: انتشار الوباء عبر الإمبراطورية:

في بداية العام 166م تحوّل المرض إلى وباء ضرب المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة في بلاد ما بين النهرين كمدينة سلوقية، وحملت القوات الرومانية العائدة من الجبهة الشرقيّة، المرض إلى المدن الرومانية الرئيسة ومن بينها العاصمة روما[2]. وتورد مجموعة الهيستوريا أوغسطا بهذا الخصوص: " كان قدر الإمبراطور لوكيوس فيروس أنْ ينشر المرض، وأنْ يتبعه إلى أي ولاية ينتقل إليها في طريق عودته، حتّى وصل في النهاية إلى روما" [3].

ويذكر المُؤرّخ ديو كاسيوس أنّ الإمبراطور المشارك لوكيوس فيروس اضطرّ نتيجة لهذا الوضع الوبائي لإيقاف حملته على الإمبراطورية البارثية، وأنْ يعطي الأوامر لما تبقى من قواته للانسحاب إلى معسكراتها، ومواقع الحاميات الرومانية في ولاية سورية والولايات الحدودية الأخرى[4].

إلا أنّ هذا الانسحاب كان بعد فوات الأوان، حيث كان الوباء قد انتشر بين الجنود الرومان، ولم يعد هناك أمل لاحتوائه.

وصل الوباء إلى ولاية أسية الصغرى[5]، ويذكر الخطيب إيليوس أريستيديس(Aelius Aristides) كيف أُصيب بالمرض في المراحل المُبكّرة للتفشّي

---

[1] Historia Augusta, Marcus Aurelius, XXVIII, 4.

[2] كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1995م، ص222. فرح، أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، الهرم ، 2002م، ص367.

[3] Historia Augusta, Verus, VIII, 8.

[4] Dio Cassius; Roman History, LXXXI, 2.

[5] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; op, cit, p263.

عندما كان يعيش في مدينة سميرنة(Smyrna)(أزمير)، فيقول: " كنتُ في الضواحي في ذروة الصيف عندما أصاب المرض كلّ جيراني تقريباً. كنت آخر من أُصيب بالمرض. لقد أصاب المرض الجميع حتى المواشي. لقد تعافيت ببطء وبصعوبة، لكنّ الحمّى لم تفارقني بشكل كامل" [1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ أريستيديس ظلّ يعاني من بعض آثار المرض وخاصّة الاضطرابات المعوية[2]. ومع منتصف العام 166م وصل المرض إلى العاصمة روما[3]، فانتشر فيها كانتشار النار في الهشيم، وتحفظ مجموعة الهيستوريا أوغسطا بعض المعلومات عن الحالة المرعبة في روما عشيّة الوباء، فتُورد: " كانت الجُثث تُنقل بالعربات بسبب العدد الذي لم يسبق له مثيل من الوفيّات. لم يكن يوجد علاج للمرض، والعديد من الأفراد من طبقة النبلاء ماتوا خلال الوباء" [4].

ووصف جالينوس الوضع الوبائي في روما في العام 168م، فكتب: "حين وصلت أكويلية (Aquileia)[5] كانت العدوى تنتشر بقوّة. وعلى الفور عاد الأباطرة إلى روما مع عدد قليل من الجنود بينما كافح البقيّة للبقاء على قيد الحياة، ولكنّ معظمهم فقدَ حياته" [6].

وأكّدت الأبحاث الأثرية أنّ الوباء وصل ولاية بريطانية غرباً، حيث كشف علماء الآثار الذين نقّبوا في بلدة جلوكيستير(Gloucester) بين عامي 2004 و

---

[1] Aelius Aristides; Orationes, XLVIII, 38–45

[2] Jackson. R; op, cit, pp 157, 164.

[3] Jackson. R; op, cit, p173.

[4] Historia Augusta; Lucius Verus, VIII, 1- 4. ; Historia Augusta, Marcus Aurelius, XIII, 3- 5.

[5] أكويلية: مدينة رومانيّة قرب البحر الأدرياتيكي، كانت إحدى المدن الأكثر ازدهارا في العصر الإمبراطوري . كانت مركزاً لقيادة حملة الإمبراطور ماركوس أوريليوس على حدود الدانوب، ومقرّاً لتجمّع القوات الرومانية. دخل أتيلّا(Attila)، ملك الهون (Hun)، المدينة في العام 452م وأحرقها، وقتل عدد كبير من سكّانها . للمزيد: انظر:

Bunson. M; op, cit, p30.

[6] Galen; Opera Omnia, XIX, 17- 18.

2006م[1]، عن حفرة كبيرة تعود إلى فترة انتشار الوباء، تضمّ رفات ما يزيد على(91) شخص بين رجال ونساء وأطفال. ولاحظ علماء الآثار أنّه جرى وضع هؤلاء الأشخاص بطريقة عشوائية، وأنّهم لم يتعرضوا إلى أيّ عنف قاتل، مما يدلّ على أنّهم قد ماتوا نتيجة لوباء أنطوني[2].

وعلى اعتبار أنّ عدد سكان هذه البلدة البريطانية كان يبلغ حوالي عشرة آلاف نسمة، لذلك فإنّ هذه الحفرة كانت تحتوي على جثامين أشخاص ماتوا لعدّة أيام متتالية[3].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ سكان روما نظروا إلى الوباء على أنّه شكل من أشكال القصاص الإلهي، لذلك أخذوا بالتوسّل للآلهة لرفع الوباء[4]. وانتشر في روما عدد من المشعوذين الذين ادّعوا مقدرتهم على رفع الوباء، عُرف منهم شخص يُدعى الإسكندر، وأخذ هؤلاء يبيعون الناس التعاويذ والتمائم ليضعوها على مداخل منازلهم لطرد المرض، واحتوت تلك التمائم على كتابات وقائيّة لتحصين الشخص ضدّ المرض، مثل: " فويبوس(Phoibos)[5] طويل الشعر يطارد حشود الأوبئة"[6].

ومن البديهي القول أنّ تلك التعويذات لمْ تنفع بشيء سوى زيادة أموال الإسكندر، في حين بقي الوباء يتفشّى بين الناس الذين دفعوا أموالهم للإسكندر وأمثاله.

---

[1] Mitrofan. D; The Antonine Plague In Dacia And Moesia Inferior, Journal of Ancient History and Archeology, No. 1- 2, 2014, p10.

[2] Munoz-Sanz. A; op, cit, p355.

[3] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, op, cit, p211.

[4] كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، ص 223. جيبون، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة،ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص110.

[5] فويبوس: هو أحّد الأسماء التي عُرف بها الإله أبولون في العصر الروماني. ومن الطبيعي أنْ يلجأ إليه إليه الناس في دعائهم، والمشعوذون في تمائمهم بحكم وظيفته في الميثولوجيا اليونانية- الرومانية. انظر: Chabrečková. B; op, cit, p6.

[6] Maire. B; Greek and Roman in Latin Medical Texts: Studies in Cultural Change and Exchange in Ancient Medicine, Leiden: Brill, 2014, p 235.

استمرّ الوباء في عهد الإمبراطور كومودوس، ولكنّ الإشارات التاريخية إليه تندر بشكل كبير، خاصّة أنّ عهد هذا الإمبراطور كان عبارة عن كابوس من المؤامرات والدسائس التي حاقت بالقصر الإمبراطوري[1]. ويذكر المؤرّخ ديو كاسيوس أنّ روما شهدت في عهد الإمبراطور كومودوس وباءً من أخبث الأوبئة التي سمع بها[2]. كما يصف المؤرخ هيروديان الأنطاكي الوضع الوبائي في روما في عهد الإمبراطور كومودوس، وخوف الأخير من المرض، فيُورد بهذا الخصوص: " في هذا الوقت تقريباً ضرب الطاعون كل إيطاليا. كانت المعاناة شديدة بشكل خاص في روما، حيث كانت المدينة، التي استقبلت الناس من جميع أنحاء العالم، مكتظة. بعد ذلك، بناءً على نصيحة أطبائه، غادر الإمبراطور كومودوس روما متجهاً إلى لاورينتوم(Laurentum)[3]. تمتعت هذه المنطقة بطبيعة جميلة لغناها ببساتين الغار الواسعة[4]. ومع ذلك، استمر الوباء بالازدياد، دون رادع، لفترة طويلة" [5].

خامساً: تشخيص الطبيب كلاوديوس جالينوس لوباء أنطوني:

قرن بعض المؤرخين اسم جالينوس بالوباء الذي ضرب روما في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس، فغدا يُعرف باسم" وباء جالينوس"[6]. كما سجّل جالينوس معظم معظم المعلومات المتوفّرة عن وباء أنطوني[7]، لذلك يبدو من الضروري التعريف بشخصيّة هذا الطبيب، وماذا ترك للمؤرخين من وصف للمرض.

---

[1] كاسيوس، ديون: التاريخ الروماني، ص 42.

Orosius; Histories against the Pagans, VII, 16, 1-4.

[2] Dio Cassius; Roman History, LXXII, 14, 4.

[3] لاورينتوم: مدينة قديمة في سهل اللاتيوم، تقع بالقرب من ساحل البحر بين أوستيا ولافينيوم على الساحل الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية، وتبعد عن روما حوالي 25 كم. اعتبرها الكُتّاب الرومان العاصمة الأصلية للاتيوم. انظر:

Livy; History of Rome, I, 1. ; Appian; Roman History, I, 1.

[4] اسم منطقة لاورينتوم نفسه مُشتق من الكلمة اللاتينية(laurus) وتعني الغار. انظر: ديون، كاسيوس: المصدر السابق، ص52، 53، حاشية رقم(5).

[5] Herodian; History of the Roman Empire, I, 12, 1-2.

[6] Littman. R; op, cit, p244.

[7] Munoz-Sanz. A; op, cit, p554.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ تشخيص جالينوس للمرض كان بصفته طبيب وليس كمُؤرّخ، لذلك فإنّ تشخيصه كان علميّاً بحتاً، ولم يُبدِ، إلّا في حالات قليلة، اهتماماً بالأحداث التاريخية المرافقة للمرض.

1- نبذة تاريخية عن الطبيب جالينوس و مكانته في العصر الروماني.

يُعدّ جالينوس أعظم طبيب في العصر الرومانيّ، وشكّل مع الطبيب اليوناني أبقراط(Hippocrates) (460- 370 ق.م)([1]) قطبي المعارف الطبيّة في العالم القديم. ومكّنه عمله كطبيب خاصّ للإمبراطور ماركوس أوريليوس وخلفه الإمبراطور كومودوس من التقرّب من دائرة الحكم في روما.

تمتّع جالينوس بعلم ومعارف كبيرة جعلته يتفوّق على جميع أقرانه في عصره وفي عصور لاحقة، فحمل لقب "أبقراط الطبّ الرومانيّ"[(2)]. وبفضل أعماله ومنجزاته الطبّية، فإن الطبّ اليونانيّ- الرومانيّ قد قاد مضمار الطبّ الأوربيّ لما يزيد عن ألف وخمسمائة عام لاحقة.

وُلد جالينوس في شهر أيلول من العام 129م في مدينة برجاموم اليونانية[(3)]، وتأثر وتأثر بفلسفة أرسطو(Aristotle)(384- 322 ق.م) على وجه الخصوص[(1)]. وبدأ

---

[1] أبقراط: أشهر طبيب في العصر اليوناني، وربّما أشهر طبيب في العصور القديمة بكاملها. حمل لقب" أبي الطب"، واستحقّ هذا اللقب عن جدارة. فقد كان له الفضل في انتقال الطبّ اليونانيّ من مرحلة الطبّ الفلسفيّ الديني الذي يربط كلّ أسباب الأمراض بالآلهة وشفاءها بأسكلبيوس، إلى مرحلة الطبّ التجريبيّ الذي يأخذ بأسباب المرض وأعراضه ومن ثمّ وصف الدواء لعلاجه. وُلد أبقراط في جزيرة كوس اليونانيّة في حوالي العام 460 ق.م، وتُوفّي في مدينة لاريسا(يكي شهر) حوالي العام 370 ق.م. وصف أبقراط بعض الأمراض وصفاً دقيقاً مثل السلّ والصرع. وفي وصفه المشهور" الطلعة الأبقراطية(Facies Hippocratic)" أشار بدقّة إلى العلامات التي تُنذر بالموت القريب، وقد وصف بدقّة 42 حالة مَرَضيّة، منها 25 حالة مصيرها الموت. ومن أنبل مميّزات أبقراط كان سمو أخلاقه في مهنته كطبيب وإسباغه عليها صفة المهنة الإنسانيّة المُترفّعة عن الماديّات. فوضع القسم المشهور بعهد أبقراط (The Oath of Hippocrates)، والذي ظلّ رمزاً للأخلاق الطبّية الراقية، وارتفاعها عن الطب عن الشبهات التجاريّة. انظر: شحاته، قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م، ص87. ؛

Yankell. J; Roman Doctors From Charlatans To Wonder-Workers, Brandeis University, 2014, p16.; Nutton. V; op, cit, p 225.

[2] Yankell. J; op, cit, p20.

[3] المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ الطبّ عن الأمم القديمة و الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014م، ص 31.

وبدأ بدراسة الطبّ في سنّ السادسة عشرة، ثم تابع دراسته في مكتبة الإسكندرية التي كانت تضم أعظم مركز للدراسات الطبيّة آنذاك[2]. وفي العام 157م عاد إلى برجاموم[3]، وبقي فيها حتى العام 162م عندما غادرها متوجّهاً إلى العاصمة روما[4].

ذاع صيته في روما بشكل كبير، لذلك طلبه الإمبراطور ماركوس أوريليوس ليكون طبيباً خاصّاً بالقصر الإمبراطوري[5]. وفي العام 166م غادر روما، بشكل مفاجئ، نحو مسقط رأسه في برجاموم[6].

وبالرغم من عدم معرفة السبب الحقيقيّ الذي دفعه إلى مغادرة روما وهو في ذروة شهرته وعلاقاته، إلا أنّه قد يكون للوباء الذي ضرب روما في تلك الفترة دوراً أساسيّاً في ذلك[7].

لم تَطُل فترة مكوث جالينوس في برجاموم، إذْ اضطر للعودة إلى أكويلية في أواخر العام 168م بناء على طلب من الإمبراطورين المُشاركين ماركوس أوريليوس

Evans. R; A History of Pergamum Beyond Hellenistic Kingship, Continuum International Publishing Group, London: New York, 2012, p93.

[1] Jackson. R; op, cit, p60.

[2] صادق، سمير حنّا: نشأة العلم في مكتبة الإسكندريّة، دار العين للنشر، الإسكندريّة، 2003م، ص 90.

[3] The Cambridge Companion to Galen, Cambridge University Press, Cambridge, 2008, p4.

[4] Nutton. V; Ancient Medicine, Routledge, New York, 2004, p109.

[5] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص 295.

[6] Besser. M; Galen and the Origins of Experimental Neurosurgery, Austin Journal of Surgery, 2014, No. 1(2), p 2.

[7] يرى الأستاذ رالف جاكسون" في كتابه الشهير" الأطباء والأمراض في الإمبراطورية الرومانية" أنّ جالينوس غادر روما هرباً من وباء أنطوني. انظر: Jackson. R; op, cit, p61.

ولكنّ هذا الكلام غير دقيق لعدّة أسباب أهمّها أنّ أخلاق جالينوس وشخصيته، التي تبدو في كتاباته، تمنعه من الهرب من الوباء وترك الناس يعانون من آثاره. كما أنّ التدقيق في المنحى الجغرافي للوباء يُثبت أنّ جالينوس كان يدخل المناطق الموبوءة ولم يكن يهرب منها. ذلك أنّ مدينته برجاموم تقع في أسية الصغرى أيّ في الشرق، وبالتالي فإنّ الوباء كان قد انتشر فيها قبل روما. بناءً على ذلك فإنّ الربط بين مغادرة جالينوس لروما والوباء صحيحة نوعاً ما، ولكنّ ذلك الربط يُحسب لجالينوس وتاريخه ولا يجوز إدراجه من باب مهاجمة جالينوس وتشويه سمعته.

ولوكيوس فيروس، بهدف جعله ضمن الأطبّاء العسكريين المُشاركين في الحملة الرومانيّة على جرمانيا[1].

عاد جالينوس إلى العاصمة روما في العام 169م، بعد كلّفه الإمبراطور ماركوس أوريليوس، بالاعتناء بالوريث الإمبراطوريّ كومودوس أثناء غيابه في الحملة على حدود الدانوب[2]. وهي مهمّة نجح فيها جالينوس نجاحاً منقطع النظير[3]. بعد هذه النقطة من حياة جالينوس تقلّ التفاصيل المُتعلّقة بحياته. ولكنّ المُؤكّد منها أنّه قد واصل الكتابة والنشر، وأنّه عاش بقيّة حيّاته في روما التي تُوفّي فيها بحدود العام 201/200م[4].

ألّف جالينوس عدداً كبيراً من الكُتب الشاملة لجميع أقسام الطبّ في زمانه[5]، وكان وكان إعجابه بأبقراط عظيماً جدّاً ففسّر أهمّ كُتبه. واقتفى آثاره فأبدى اهتماما كبيراً بالطبّ التجريبيّ المُستند قبل كلّ شيء على الوقائع الملموسة[6]. غير أنّ إعجابه وحبّه الكبيرين لأرسطو وأفلاطون(Plato)(429– 347 ق.م) جعلا من ثقافته

---

[1] Wright. J; op, cit, p17.; Nutton. V; op, cit, p 225. ; Birley. A; op, cit, p 159.

[2] Galen; My Own Books, L, 19.

[3] Birley. A; op, cit, p162.

[4] Nutton. V; op, cit, pp225, 226.

[5] أهمّ أعمال جالينوس هي الكُتب التالية:

أ- في حركة العضلات(On the Movement of the Muscles)

ب- في طريقة الشفاء(On The method of healing): كتاب وُجّه بالدرجة الأولى ليكون على شكل كتاب دراسيّ للأطباء.

ج- في الكلّيات الطبيعيّة(On the Natural Faculties).

د- في التشريح الكبير(On Anatomical Procedure): من أهمّ كُتب جالينوس، وقد بقي المرجع الطبّي الأساسيّ في التشريح حتّى القرن الثامن عشر الميلاديّ تقريباً.

ه- في الفحوص(On Examinations): يُقدّم فيه جالينوس صورة للطبيب المثاليّ بحسب ما ينبغي أنْ يكون، والطريقة التي يستطيع بها المواطن الرومانيّ تصنيف الأطبّاء وتمييز الطبيب الناجح من الطبيب الفاشل.

ز- كتاب النبض الصغير للمُبتدئين(On Pulses for Beginner): كتبه جالينوس ليكون مُقدّمة للطلاب المُبتدئين في مهنة الطبّ. للمزيد عن أعمال جالينوس، انظر:

Galen; On Examinations, Trans; Albert Z. Iskandar, Akademie-Verlage, Berlin, 1988, p31. ; Jackson. R; op, cit, p160, 161. ; Besser. M; op, cit, p 2.

[6] شحاته، قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م، ص122.

الفلسفية تتغلب عليه أحياناً، فتخلّل كتاباته الطبّية أفكار أرسطوطاليّة وأفلاطونيّة. وإذا جاز القول أنّ أبقراط كان أوّل من فصل الفلسفة عن الطبّ، فإنّه يُمكن القول أنّ جالينوس قد وحّد بينهما أكثر[1].

تعود أغلب أعمال جالينوس ومؤلّفاته إلى فترة عودته الثانية إلى روما أيّ بين عاميّ 168- 200م. وقد بلغ عدد مؤلّفاته حوالي 400 مؤلّف، بقي منها 83 كتابا، و15 تفسير لكُتب أبقراط اليونانيّ[2].

2- أعراض الوباء بحسب تشخيص جالينوس:

على الرغم من أن وصف جالينوس لأعراض الوباء الأنطوني لم يكن واضحاً، فإنّ المعلومات التي قدّمها تُساعد على تكوين تشخيص عن طبيعة ذلك المرض. مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ عدم ذِكر جالينوس لأعراض محددة لا يعني عدم وجودها بالأصل. وفيما يلي تشخيص لأعراض المرض كما جاءت في كتابات جالينوس:

أ- الطفح الجلدي:

√ في اليوم التاسع من المرض غطّى الطفح الجلدي جسد المريض بالكامل[3]. وكانت هذه حالة جميع الأشخاص الذي تمكّنوا من التعافي من المرض.

√ العلاج الوحيد كان وضع المراهم التي تساعد على تجفيف الطفح الجلدي.

√ في اليوم الثاني عشر من الإصابة تمكن المريض من النهوض من السرير.

√ الأشخاص الذين بقوا على قيد الحياة، وكانوا يعانون من الإسهال ظهر عليهم طفح جلدي أسود غطّى أجسادهم بالكامل.

√ كانت الطفوح الجلدية مُتقرّحة في بعض الحالات وجافّة في حالات أخرى.

[1] Besser. M; op, cit, p 1.
[2] Jackson. R; op, cit, p61.
[3] Munoz-Sanz. A; op, cit, p554.

√ كان اللون الأسود في الطفح الجلدي يعود إلى بقايا الدمّ المُتجمّع في البثور المُرافقة للحمّى، وكان تلك البقع السوداء أشبه بالبقع التي يتركها الرماد على الجلد[1].

√ عندما بدأ المريض بالتعافي سقط القسم الخارجي من تلك الطفوح المُسمّى" قشرة"، وبقي القسم الداخلي الذي تحوّل بعد بضعة أيّام إلى ندوب عميقة.

ب- الحُمّى:

يقول جالينوس:

√ المرضى لا يبدون دافئين ولا يُحرقون الذين يلمسونهم، ولكنّهم مستعرون بالحمى في الداخل.

√ يبدو هذا الوباء وكأنه وباء الحُمّى[2].

ج- الأحشاء.

يقول جالينوس واصفاً الأعراض الداخليّة للمرض:

√ كان البراز الأسود مرافقاً لهؤلاء الذين أصابهم المرض، سواء نجوا أو ماتوا بسببه[3].

√ كان لدى المريض إسهال حادّ، والإفرازات كانت أولًا بلون كستنائي، ثم أحمر مُصفر، ثم أسود، وكأنها براز مُختلط بالدماء.

√ كان الإسهال أحدّ الأعراض التي لا تنفصل عن المرض.

√ ظهر لدى كثير من الذين نجوا، براز أسود ، معظمه في اليوم التاسع أو حتى اليوم السابع أو الحادي عشر.

[1] Galen; Method of Medicine, V, 12.

[2] Raoult. D; Paleomicrobiology: Past Human Infections, Springer Science & Business Media, Berlin 2008, p11.

[3] Munoz-Sanz. A; op, cit, p554.

√ حدثت اختلافات كثيرة، كان لدى البعض براز مائل للون الأسود، والبعض لم يكن لديهم آلام في إفرازاتهم، ولم يكن لإفرازاتهم رائحة كريهة، في حين وقف الكثيرين في المنتصف.

√ كل الذين أخرجوا براز شديد السواد، ماتوا[1].

د- التقيؤ:

√ حدث في بعض الحالات[2].

هـ- اضطراب المعدة:

√ حدث في جميع الحالات[3].

و- رائحة نفس كريهة:

√ حدثت في جميع الحالات[4].

ز- السعال:

√ في اليوم التاسع أُصيب المريض بسعال خفيف. وفي اليوم العاشر اشتدّت نوبات السعال الذي بدأ يختلط بالدماء[5].

ح- العطش:

√ حدث في جميع الحالات.

هذا هو التشخيص الذي ذكره جالينوس للمرض. والحقيقة، أنّ هذا التشخيص يجعل المرض متطابقاً لحدّ كبير مع مرض الجدري، إذْ أكّد جالينوس على نقطة الطفح الجلدي الذي غطّى الجسم بالكامل، كما ذكر أنّ الطفح الذي سقط بعد بضعة أيّام

---

[1] Littman. R; op, cit, p247.

كانت المعلومات بخصوص لون براز المريض مهمة جداً خاصة بالنسبة لأقرباء المريض أو القائمين على رعايته، إذْ كلما اشتدّ تحول البراز للون الأسود، فهذا دليل على قرب وفاة المريض وبالتالي ضرورة تجهيز مراسم دفنه. انظر:

Wright. J; op, cit, p19.

[2] Galen; Method of Medicine, V, 12.

[3] Galen; Method of Medicine, V, 12.

[4] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; op, cit, p266.

[5] Galen; Method of Medicine, V, 12.

ترك ندوب عميقة. أمّا البراز الأسود الذي ذكره جالينوس، فهو يُشير إلى حدوث نزيف هضميّ تتسبّب فيه القروح المعويّة، وهذا كلّه يتوافق مع تشخيص العلم الحديث لمرض الجدري[1].

بناءً على ذلك، يمكن القول أنّ الوباء الذي انتشر في الإمبراطورية الرومانية كان مرض الجدري الذي يُصيب الإنسان والحيوان، و لكنّ وكما ذُكر في بداية هذا البحث، فإنّ المصادر التاريخية كانت تجهل طبيعة الوباء، وعمّمت مصطلح" الطاعون" على جميع الأمراض الوبائية التي عاصرها المُؤلّفون من العصرين اليوناني والروماني.

سادساً: تأثيرات وباء أنطوني على مجمل الإمبراطورية الرومانية.

ترك وباء أنطوني أثاراً سلبية بعيدة المدى على الإمبراطورية الرومانية، وشملت تلك التأثيرات النواحي الديموغرافية، والاقتصادية، كما ترك الوباء آثاراً سيئةً على الجيش الروماني وجهوده في حماية حدود الإمبراطورية ولاسيما الحدود الشمالية. بناءً عليه لا غرابةَ أنْ يُصنّف هذا وباء كأحد عوامل اضمحلال الإمبراطورية الرومانية.

1- تأثيراته الديموغرافية.

أثّر وباء أنطوني على القدرة البشرية في الإمبراطورية الرومانيّة التي عانت نتيجة عدد الوفيات الكبير[2]. فذكرت مجموعة الهيستوريا أوغسطا أنّ " آلاف المدنيين والجنود استسلموا لمرض رهيب" [3]. كما أشار المؤرخ هيروديان الأنطاكي إلى أنّ ذلك الوباء قد أضرّ بالإنسان و الحيوان على حدّ سواء[4]. أمّا باولوس أوروسيوس فيذهب إلى أبعد من ذلك فيذكر أنّ ذلك الوباء دمّر كُلّ إيطاليا[5].

[1] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, op, cit, p210.
[2] McNeill. W. H; Plagues and Peoples, Anchor Press, New York, 1976, p116.
[3] Historia Augusta; Lucius Verus, VIII, 1- 4. ; XVII, 2.
[4] Herodian; History of the Roman Empire, I, 12, 1-2.
[5] Orosius; Histories against the Pagans, VII , 15, 5. ; VII, 27, 7.

وذكر المؤرّخ الرومانيّ ديو كاسيوس أنّه، في العام 189م، كان ألفا شخص يفقدون حياتهم كل يوم[1]. وهذه في الواقع نسبة مرتفعة جداً، فإذا أُجريت عملية حسابية بسيطة لعدد ضحايا الوباء خلال عام واحد فسيكون الناتج 7 مليون و 300 ألف شخص. و استناداً إلى العدد التقريبي لسكّان الإمبراطورية الرومانية في العام 166م والبالغ حوالي 70 أو 80 مليون نسمة[2]، فإنّ نسبة ضحايا الوباء ستكون ما يزيد قليلاً على 10 % من مجموع سكّان الإمبراطورية الرومانيّة[3].

وتُؤكّد ورقة بردي من مصر ما جاء في المصادر الأدبية، فتشير إلى أنّ قُرى بأكملها أُزيلت من السجلّات الضريبية نتيجة للمرض[4].

كما تُظهر السجلّات الضريبية المصرية للفترة بين(170– 180م) نسبة وفيّات مرتفعة في المجتمعات الريفية التي عانت من موجات تفشّي مُتكرّرة[5].

وتُقدّم فيلا واقعة في منطقة توسكانيا الإيطالية دليلاً أخراً على حجم الضرر الذي سبّبه الوباء، حيث أظهرت أعمال التنقيب التي تمّت في تلك الفيلا أنّ مساكن العبيد هُجرت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلاديّ، ومن ثمّ هُجر البناء بأكمله بعد فترة زمنية قصيرة[6].

و في دليل أخر على حجم الخسائر البشرية في شمال الإمبراطورية الرومانية، فإنّ الأبحاث الأثرية قد كشفت النقاب عن لوحة البرونزية مُخصّصة لتسجيل أعضاء

---

[1] Dio Cassius; Roman History, LXXII, 14, 3- 4.

[2] لورو، باترك: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008م، ص59، 67.

[3] كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، ص 221.

[4] Papyrus Thmouis, I , 104, 10- 18 (173 A. D).

[5] Boak. A. E.; Egypt and the plague of Marcus Aurelius, Historia 8, pp 248-250.
سجلّت إحدى السجلّات الضريبية من موقع(Socnopaiou Nesos= ديمية السباع، وهي منطقة أثرية في محافظة الفيوم المصرية) أنّه بين أيلول من العام 178م وشباط من العام 179م فقدت قرية مصرية، نتيجة للوباء، (78) رجلاً من مجموع رجالها البالغ عددهم(244) رجلاً. أيّ أنّ القرية فقدت ثلث السكان الذكور خلال فترة ستّة أشهر فقط. انظر:

Duncan-Jones. R; op, cit, pp120, 121.

[6] Duncan-Jones. R; op, cit, p 121.

معبد للديانة الميثراسية[1] في فيرونوم(Virunum)[2]، تُظهر أنّ المعبد فقدَ خمسة من أعضائه البالغ عددهم(98) عضواً خلال تفشّي جديد حصل في العام 183م[3].

وتمّ الإشارة في فقرة سابقة[4] إلى أنّ الأبحاث الأثرية قد كشفت عن نسبة وفيات مرتفعة في ولاية بريطانية الرومانية جرّاء الوباء.

وبالمحصلة يمكن القول أنّ السكان في جميع مناطق الإمبراطورية قد تعرّضوا لتأثيرات الوباء، وفقدت كل منطقة من مناطق الإمبراطورية نسبة كبيرة من سكانها.

2- تأثيراته الاقتصادية.

لم يمرّ وباء أنطوني دون أنْ يترك آثاره على الاقتصاد الروماني، وهذا شيء طبيعي، فالاقتصاد، دائماً وأبداً، يعكس حيوية الدولة وقوّتها وعافيتها. و شملت آثار الوباء النواحي الزراعية والتجارية والصناعية. و نظراً لأهميّة جميع هذه الجوانب لذلك سيتمّ معالجة كل منها على حدة.

أ- على الزراعة:

[1] الديانة الميثراسية: ديانة فارسيّة بالأصل ، إلّا أنّها انتشرت بين شرائح واسعة من المجتمع الروماني ولاسيّما الجنود العاملين في الشرق والتجّار في الفترة بين القرنين الأوّل قبل الميلاد و الرابع الميلاديّ. تمحوّرت حول عبادة الإله ميثرا الذي عبده أتباع الديانة الزرادشتيّة كإله للنور. وقف ميثرا في صفّ أهورا مزدا(Ahura-Mazda) في صراعه ضدّ إله الظلام أهريمان (Ahriman). قرنه أتباعه من الرومان بالشمس، فشكّلت الشمس محور عبادته. انظر:

Manouchehri. J; Sport and physical Education in Mithra (Mitra) Religion and their Relations with Roman-Persian Wars, Advances in Environmental Biology Journal , No. 8, Tehran, 2014, pp 422- 425. ; Tripolitis. A; Religions Of The Hellenistic-Roman Age, William B . Eerdmans Publishing Company, Cambridge, 2002, pp47- 58.

[2] فيرونوم: إحدى المدن الرئيسية في مقاطعة نوريكوم الرومانية. تقع في جنوب نوريكوم بالقرب من حدود بانونيا. كان موقعها مهماً على اعتبار أنّها تُشرف على الطريق الذي يربط حدود الدانوب بالمناطق الرئيسية في إيطاليا مثل أكويلية وبانونيا. انظر:

Bunson. M; op, cit, p586.

[3] Corpus Inscriptionum Latinarum, III, 5567.

[4] راجع الصفحة رقم(18) من هذا البحث.

أصاب الوباء الاقتصاد الروماني بحالة من الركود، وأدّى هروب الناس من المناطق التي ضربها الوباء إلى هلع بقية الناس، وإلى ضغط اقتصادي ترافق مع نقص كبير في المواد الغذائية في المناطق التي شهدت جذباً للوافدين الجدد[1]، ومع ارتفاع كبير في أسعاد المواد الغذائية[2]. كما هرب الناس من الأراضي الزراعية التي هدّدها الوباء نحو مناطق أكثر أمناً[3]، مما أدّى إلى ترك تلك الأراضي بوراً دون فلاحة أو زراعة[4].

وعانت الأراضي الزراعية في إيطاليا من خسائر مماثلة أثناء تفشّي الوباء. فيذكر باولوس أوروسيوس أنّ عدداً كبيراً من الحقول و المنازل الريفية قد تُركت بدون مزارعين أو سكان، وأنّ المرض أثّر على الإنتاج الزراعي في الإمبراطورية الرومانية لعدّة سنوات لاحقة[5].

2- على التجارة:

ترك الوباء آثاراً كبيرة على التجارة الرومانية، إذْ أصاب الموارد الرومانية وتمويلات الخزينة بحالة أقرب إلى الشلل[6]. وتراجعت الواردات المالية من الضرائب التي كانت تفرضها روما على التجارة الدولية التي أصيبت بخسائر كبيرة[7]. وتُقدّم مدينة مدينة تدمر شاهداً تاريخيّاً على تراجع التجارة الدولية، حيث عانت تجارتها جراء الوباء بدليل توقّف نقوش القوافل التدمرية[8] طوال الفترة بين عامي 166 و

[1] Scheidel. W; A model of demographic and economic change in Roman Egypt after the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology No. 9, 2002, pp 14-97.

[2] Bagnal. R. S; The effects of plague: model and evidence, Journal of Roman Archaeology No. 25, 2002, pp 114- 120.

[3] Munoz-Sanz. A; op, cit, p553.

[4] Duncan-Jones. R; op, cit, pp120, 121.

[5] Orosius; Histories against the Pagans, VII , 15, 5. ; VII, 27, 7.

[6] Birley. A; op, cit, p 159.

[7] McNeill. W. H; op, cit, p116. ; Duncan-Jones. R; op, cit, pp120, 121.

[8] نقوش القوافل: نقوش أقامها المُشاركون في القوافل التدمريّة، وكُتبت تلك النقوش باللغتين باليونانيّة والآراميّة. وأُقيمت بهدف تخليد ذكرى الأفراد الذين ساعدوا القوافل بطريقة ما. وهي تُقدّم تفاصيل مُهمّة عن وجهة القافلة، واسم الشخص الذي أقيم النقش على شرفه. انظر: بن صراي، حمد محمد: الرومان

176م[1]. ومن المعروف أنّ تدمر كانت إحدى أهّم مصادر السلع القادمة من خارج الحدود الرومانية[2].

كما ترك الوباء آثاره على مدينة الإسكندرية المصرية التي عانت تجارتها جرّاء عدد الوفيات الكبير وتراجع النشاط التجاري مع الشرق[3]. والجدير بالذكر أنّ مدينة الإسكندرية كانت كمدينة تدمر نقطة التقاء للخطوط التجارية والتجار من شتّى بقاع العالم المعروف آنذاك[4].

يوجد دليل آخر على تأثّر التجارة الرومانية بوباء أنطوني، و لكن هذه المرّة من التجار التابعين لمدينة صور الفينيقية. ذلك أنّه في العام 174م كتبت الجالية التجارية الفينيقية المقيمة في ميناء بيوتولي(Puteoli)[5] في إيطالية رسالة[6] إلى المجلس الحاكم في مدينة صور، طلبت فيه معونة مالية مُستعجلة بهدف المحافظة

ومنطقة الخليج العربي 25ق.م- 235م، مجلة دراسات كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 29، العدد 1، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2001م، ص243.

[1] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; op, cit, p269.

[2] Appian; Civil Wars, V, 9. ; Ball. W; Rome in the East: the Transformation of an Empire, London: Routledge, 2000, p74.

علي، جواد: المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م ، ص81.

[3] كلاوس، مانفريد: الإسكندريّة أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي أحمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص 200.

[4] أصدق تعبير عن أهمية مدينة الإسكندرية من الناحية التجارية أورده ديو خريستوم حين قال:" أنتم أيّها الإسكندريّون لديكم احتكار على تجارة كامل البحر المتوسّط، المياه الخارجيّة وراء البحر المُتوسّط ضمنت وصولكم إلى البحر الأحمر والمُحيط الهنديّ الذي سُمع اسمه نادراً في الأوقات الماضية".

Dio Chrysostom; Orations, XXXII, 36.

[5] ميناء بيوتولي: ميناء بوزّولي(Pozzuoli)الحاليّ. وهو أحّد الموانئ الرئيسيّة على ساحل كمبانيا غربيّ إيطالية، إذْ كان البوابة التجارية الرئيسيّة التي تستقبل التجارة من الإسكندريّة وإسبانية ومُعظم غربيّ البحر المتوسّط. انظر:

Suetonius; Augustus , XCVIII. ; Bunson. M; op, cit, p 461 .

[6] فيما يلي نصّ الرسالة:" إلى القادة المدنيين (archontes) والمجلس والشعب في وطنهم. من أولئك الذين استقروا في بيوتولي، تحيات: بفضل الآلهة وثروة سيدنا، الإمبراطور، إذا كان هناك أي محطات أخرى في بيوتولي، فإن محطتنا أفضل من غيرها من حيث الزينة والحجم. كما يعلم معظمكم، في الماضي، كان يتم الاهتمام بهذا الأمر من قبل الصوريين الذين استقروا في بيوتولي، وكانوا كثيرين وأثرياء. لكن الآن تضاءل عددنا بشكل كبير، وبما أننا ندفع نفقات التضحيات والخدمات لآلهة أجدادنا المنشأة هنا في المعابد، فليس لدينا الوسائل لتسديد الدفعة السنوية للمحطة البالغة 250 ديناري". انظر:

Orientis Graeci Inscriptiones Selectae, 595.

على محطتهم التجارية في ميناء بيوتولي التي كانت تعاني بسبب موت عدد كبير من التجّار[1].

ولجأت الحكومة الرومانيّة لمواجهة الأزمة الاقتصاديّة الخانقة، التي عصفت بالإمبراطوريّة والتي ترافقت مع انخفاض في حجم الاحتياطات الذهبيّة والفضّية في الخزينة الرومانيّة، إلى تخفيض نسبة المعادن الثمينة في العملة الفضّية[2]، مما أدّى إلى فقدان تلك العملة لقيمتها، فلم يعد لها قيمة أبعد من القيمة المحليّة، وهو ما سبّب تضخّماً كبيراً، وارتفاعاً حادّاً بأسعار السلع المُباعة في السوق الرومانيّة. ففقد التاجر الرومانيّ ثقته بالعملة، وفَقَد المواطن الرومانيّ قدرته على شراء أغلب السلع[3].

ويُظهر الدليل الأثري من ولاية مصر الرومانية هبوطاً كبيراً في كمية المعادن الثمينة المُتوفرة في دور السكّ، تلك المعادن التي كانت الدولة بحاجتها لسكّ العملات النقدية المتداولة. ففي العام 150م احتوت التتزادراخمة، المسكوكة في مدينة الإسكندرية، نسبة 18 % من الفضّة الصافية أيّ ما يعادل 2,3 غرام تقريباً، أمّا في العام 167م فبدأت دار سكّ العملة في الإسكندرية بسكّ فئة التتزادراخمة بنسبة فضّة تبلغ نصف المحتوى الفاضي الاعتيادي أيّ نسبة 9% فقط من فضّة[4].

كما أظهرت تحليلات نماذج نقدية من الفترة بين عامي 165 و 170م وجود كميات أكبر من الشوائب في المعدن المستخدم في سكّ العملة، مما يدلّ على

---

[1] Taco Terpstra. T; Trading Communities in the Roman World. A Micro-Economic and Institutional Perspective, Columbia Studies in the Classical Tradition, Leiden: Brill, 2013, pp70, 71.

[2] Harl. K; Coinage in the Roman Economy , Baltimore, 1996,pp 12- 88.

[3] Howgego. C; The Supply And Use Of Money In The Roman World 200 BC–AD 300, Journal of Roman Studies, No. 82, 1992, p 24.

[4] Howgego. C and Butcher. K; Coinage and the Roman Economy in the Antonine Antonine Period: the view
from Egypt, Online, 2013, pp13- 15.

تراجع في كمّيات المعادن الثمينة المُخصّصة لدار السكّ في الإسكندرية. ووصلت الأزمة الاقتصاديّة الناجمة عن وباء أنطوني إلى حدّ توقف دار سكّ العملة في الإسكندرية عن إصدار عملة التتراخمة نهائياً. وعندما أستُأنف إصدار تلك العملة في العام 185م، فإنّها كانت تحتوي ربع نسبة الفضّة التي كانت تحتويها قبل انتشار الوباء، أي وصلت لنسبة 4,5 % فقط[1].

3- على الصناعة:

ترك وباء أنطوني تأثيراته على الصناعة في الإمبراطورية الرومانية، حيث تقلّصت القوة العاملة إلى حدّ كبير نتيجة لحجم الوفيات الهائل، فضلاً عن أنّ الكثير من الذين تعافوا غدوا غير صالحين للعمل مرّة أخرى بسبب حالات العجز المُزمن الذي أثّر على وظائف الدماغ والنظر والأعصاب.

وأحّد أهمّ الجوانب الصناعية التي تأثّرت بالوباء كان التعدين والمناجم، فعانى عمال المناجم من الآثار الوبائية على اعتبار أنّ ظروف عملهم كانت تقتضي العمل والعيش في المعسكرات المغلقة التي ساهمت بانتشار الوباء بشكل سريع، لذلك فقد كان للوباء تأثير على ناتج عمليات التعدين.

ويُقدّم نقش آثري من منجم للتعدين في ولاية داكيا(Dacia)[2]، شاهداً تاريخياً على تراجع واردات المناجم، فيذكر هذا النقش، أنّه بحلول العام 167م توجّب على الصندوق المالي، المُخصّص لترتيب جنازات عمال المناجم، أنْ يتوقّف عن العمل، وأنّ (54) عاملاً من منطقة التعدين المعروفة باسم لابورنوم(Laburnum) دفعوا مبالغ منتظمة إلى الصندوق الجنائزيّ لإدارة مراسم دفنهم. ولكنّ خلال سنة من

[1] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, op, cit, p214.

[2] ولاية داكيا: تعرَف أيضاً بداكيا ترايانا، أي داكيا التراجانية، أو داكيا فيلكس، أي داكيا السعيدة، أو الخصبة. هي ولاية رومانية أسّسها الإمبراطور تراجان عام 106م. تقع شمال نهر الدانوب ضمن ترانسلفانيا وشرقي هنغاريا الحالية. استعمرت السلطات الرومانية هذه الولاية استعماراً كبيراً ومنظمًا. فُتحت مناجم جديدة واشتدّت وتيرة التعدين، وازدهرت الزراعة وتربية الماشية والتجارة في المقاطعة. انظر:

Bunson. M; op, cit, pp 165- 167.

تفشّي وباء أنطوني، لم يبقَ في المنطقة المذكورة سوى سبعة عشر شخص. وهذا يعني أنّ ثلث القوّة العاملة في المنجم تقريباً قد استسلمت للمرض أو تَركت المنطقة خوفاً من الوباء. لذلك فقد اضطرت الجمعية الجنائزيّة للإغلاق بعد إقامة نقش يُخلّد عملها[1].

وعلى الجانب الآخر من الإمبراطورية، وتحديداً في ولاية بريطانية الرومانية، يبدو بوضوح آثار الوباء على الناتج الاقتصادي. إذْ بحلول العام 169م توقّفت النقوش المُؤرّخة من المناجم في بريطانية مما يدلّ على هجر تلك المناجم نتيجة وباء أنطوني[2].

كما شهدت مناجم إسبانية هي الأخرى تراجعاً حادّاً في الإنتاج، وأكّد علماء الآثار أنّ العمل في مناجم الفضّة جنوب غربي إسبانية قد توقّف بشكل شبه كامل بين عامي 166- 175م[3].

3- تأثيراته على الجيش الرومانيّ.

تكبّد الجيش الرومانيّ خسائر كبيرة خلال تفشّي الوباء الأنطوني[4]، ويُلخّص جيروم(Jerome) التأثير الإجمالي للوباء عندما أفاد بأنه " كان هناك مرض في جميع أنحاء العالم بحيث قارب الجيش الروماني على الانقراض"[5]. ويشترك أيوتروبيوس مع جيروم في توصيف تأثيرات الوباء فيُورد: "جميع القوّات في روما وإيطالية والولايات استسلمت للمرض"[6].

[1] MacKendrick. P; The Dacian Stones Speak, North Carolina University Press, 1975, pp206, 207.

[2] Duncan-Jones. R; op, cit, p 121.

[3] Jones. G; The Roman Mines at Riotinto, The Journal of Roman Studies, Volume 70 , November 1980, 1980, p 161

[4] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

[5] Jerome; Chronicle, CLXXII.

[6] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

كما هرب عدد من الجنود الرومان خوفاً من إصابتهم بالعدوى في ثكناتهم[1]. كل ذلك أدّى إلى تناقص في القدرة البشرية للجيش الروماني في وقت كانت فيه روما بحاجة إلى كل جندي من جنودها[2].

وزاد من صعوبة الموقف، الأوضاع العامّة التي كانت تعاني منها الحدود الرومانية على جبهة نهر الدانوب[3]، إذْ تعرّصت تلك الحدود لغزو من القبائل الألمانية في أواخر العام 166م وبداية العام 167م[4]، ولم يتمكّن الجيش الروماني، بقيادة ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس، من استعادة السيطرة على حدود الدانوب إلا في العام 168م. ولكنّ ذلك التقّدم الرومانيّ على الحدود الشمالية كان وبالاً على الإمبراطورية، حيث نقل الجنود الرومان العائدين إلى ثكناتهم المرض إلى وحدات جديدة[5]. كما زادت الحركة الجماعيّة للقوّات وللإمدادات الرومانيّة من فرص انتشار المرض ولاسيّما مع اقتراب فصل الشتاء وعودة القوّات إلى ثكناتها في مدينة أكويلية مركز قيادة الحملة[6].

وفي العام 170م هاجم تحالف جديد من القبائل الألمانية ولايات الدانوب، واجتاح بانونيا(Pannonia)، وتابع جنوباً حتّى بلغوا أكويلية[7]، الأمر الذي زاد مخاوف الرومان من أنْ يقوم الألمان بدخول إيطاليا[8].

وينعكس صدى صعوبة الوضع العسكري للقوات الرومانية في مجموعة الهيستوريا أوغسطا، فأوردت: " شكّلت الحرب الماركومانية[1] صراعاً فاق أي حرب في الذاكرة

[1] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص 307.

[2] Birley. A; op, cit, p 159.

[3] Orosius; Histories against the Pagans, VII, 15, 7- 8.

[4] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص281.

[5] Stephens. W; op, cit, p 40.

[6] Galen; Opera Omnia, XIX, 17- 18.

[7] رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة ومراجعة: زكي زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1957، ص439.

[8] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XII, 13

الذاكرة البشرية. شن ماركوس أوريليوس هذه الحرب ببسالة ونجاح في وقت استسلم فيه آلاف المدنيين والجنود لمرض رهيب"[2].

سابعاً: الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانيّة للتصدّي لآثار وباء أنطوني.

لم يقف الإمبراطور ماركوس أوريليوس مكتوفاً أمام هذا التفشّي الوبائي الذي ضرب روما، بل عمل على مواجهته بوسائل متعددة. ومن خلال دراسة المصادر التاريخية التي عالجت تلك الفترة، يبدو بوضوح أنّ الإمبراطور ماركوس أوريليوس قد قام بإجراءات عدّة منها، ما هو مُوجّه إلى المدنيين الرومان، ومنها ما كان مُوجّهاً لوقف النزيف الحاصل في الاقتصاد الروماني جراء الوباء، ومنها ما كان مُوجّهاً إلى الجيش الروماني وتحركاته العسكرية. وسيتمّ في هذه الفقرة دراسة تلك الإجراءات و تصنيفها على الشكل التالي:

1- إجراءات مُوجّهة إلى المدنيين الرومان:

اعتنق الإمبراطور ماركوس أوريليوس الفلسفة الرواقيّة[3]، والمبدأ الأساسيّ لهذه الفلسفة هو تحكيم العقل، واستخدامه لضبط النفس عن العواطف وخاصّة السلبيّة منها كالغضب والجشع، والقبول بحقائق الوجود التي لا تتغيّر كالموت مثلاً[4]. وقد انعكست عقلانية ماركوس أوريليوس في قسم من الإجراءات التي قام بها للسيطرة على انتشار الوباء، أمّا القسم الآخر، فإنّه لا يتفّق مع المنطق العقلاني الذي آمن به، بل يمكن تبريره برغبته بمسايرة الشعب الروماني الذي كان يؤمن، بمعظمه،

---

[1] الحرب الماركومانية: مُصطلح أطلق على الحروب التي خاضها الإمبراطور ماركوس أوريليوس ضدّ القبائل الألمانية. امتدّت تلك الحروب بين الأعوام 166 إلى 175 ومن 177 إلى 180 م. جاء تسميتها بالماركومانية من اسم قبيلة(ماركوماني) وهي القبيلة الأكبر التي كانت تُوجّه تلك الحرب. انظر:
Bunson. M; op, cit, pp348, 349.

[2] Historia Augusta; Lucius Verus, VIII, 1- 4. ; XVII, 2.

[3] Dio Cassius; Roman History, LXXI, 35. ; Historia Augusta; Marcus Aurelius, VI-VI. ; XVI, 5.
أنديشة، أحمد محمد محمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الأول، يونيو/ حزيران، 2014م، ص67. ;

[4] Wright. J; op, cit, p20.

بالآلهة والقوى الغيبية. وبحسب المصادر التاريخية، فإنّ تلك الإجراءات تضمّنت ما يلي:

أ- أصدر مجموعة من القوانين تهدف للحفاظ على مدينة روما، كبيئة صالحة للعيش كمدينة وليس كمقبرة كبيرة، منها على سبيل المثال، منع الناس من تحويل بيوتهم الريفية(الفيلا) إلى مقابر، أو دفن الموتى في مناطق قريبة من البيوت[1].

ب- أمر بدفن عامّة الناس من الذين ماتوا بالوباء على نفقة الحكومة الرومانيّة. هذا الإجراء قام به بسبب توّجه الناس إلى المعابد للتضرّع إلى الآلهة لتُشفيهم من المرض[2]، لذلك و لتفادي تفادي تجربة الطاعون الأثيني، حين تكدّست الجثث في المعابد[3]، فقد عمل الإمبراطور ماركوس أوريليوس على منع تجمّع الجثث في المعابد و الشوارع.

ج- أصدر قانوناً منع بموجبه نبش القبور القديمة، وإعادة الدفن فيها[4].

وحقيقيةً، فإنّه لو لم يكن هذا الأمر شائعاً لما كان الإمبراطور أصدر قانوناً بمنعه. وهذه الإجراءات والقوانين التي أصدرها الإمبراطور كانت ضرورية لأنّ مُتعهدي دفن الموتى كانوا يفرضون أسعاراً باهظة نظراً لحاجة الناس المتزايدة للقبور لدفن ذويهم[5].

د- منع ذوي الميّت من نقل جثّته من قرية لأخرى أو من بلدة لأخرى، وفرض الحصول على إذن من السلطة المختصة للقيام بذلك[6].

---

[1] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XIII, 4.

[2] اعتاد الناس في العصرين اليوناني والروماني على التوجّه إلى المعابد للتضرّع للآلهة وخاصّة إله الطبّ أسكلبيوس(Asclepius) ليُشفيهم من الأمراض المزمنة. وهذه العادة دفعت مهندس العمارة الروماني فيتروفيوس إلى كتابة فقرة في كتابه" فنّ العمارة" الذي أهداه إلى الإمبراطور أوغسطس(Augustus)(27 ق.م- 14م)، تتضمّن تأكيد على ضرورة أنْ يحتوي المعبد على مكان مُخصّص للمرضى الذين يُقيمون فيه لفترة طويلة بهدف الشفاء من الأمراض. انظر :

Vitruvius; De Architectura, I, II, 7.

[3] Wright. J; op, cit, p18.

[4] Stephens. W; op, cit, p 40.

[5] Wright. J; op, cit, pp 22.

[6] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XIII, 3- 6.

هـ- قدّم مساعدات مالية للأفراد[1]، كما قدّم مساعدات مالية للمدن التي أنهكها المرض[2].

و- عمل على تأمين إمداد سكان روما بالحبوب[3].

ز- عمل على التقليل من النفقات العامة قدر الإمكان، لذلك حدّ من عروض المصارعة العامّة[4]. ومن المحتمل أنّ الإمبراطور كان يهدف من هذا الإجراء إلى التقليل من التجمّعات.

ح- قام ماركوس أوريليوس باستدعاء الكهنة من جميع أنحاء الإمبراطورية لأداء الطقوس الدينية، والتضرّع للآلهة لرفع الوباء[5]. وهذا الإجراء قام به الإمبراطور بسبب خوف الناس من الأخبار التي قالت أنّ الإله أبولون قد غضب على الجنود الرومان في سلوقية دجلة، لذلك كان لابدّ من استرضاءه لرفع البلاء عن عموم الشعب الروماني[6].

هـ- أحّد الإجراءات التي قام بها ماركوس أوريليوس، والتي تُعتبر مناقضة لأفكاره و مبادئه التي كتبها في كتابه الشهير" التأملات(The Meditations)"[7]، كان

---

[1] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص285.

[2] رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ص 440.

[3] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXI, 3, 5.

[4] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXI, 4.

[5] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XIII, 1- 2. ; XXI, 6. ; Stephens. W; op, cit, p 40.

[6] Jackson. R; op, cit, p173.

[7] حمل الإمبراطور ماركوس أوريليوس لقب "الفيلسوف على العرش". وكان يستحقّ هذا اللقب بجدارة، فالقارئ لكتابه الشهير" التأملات" سيلاحظ فلسفة واقعية تقبل أساسيات الكون، وتنادي بالأخوة الإنسانية وسمو العقل. وفسّر ماركوس أوريليوس فلسفة الحياة بطريقة جميلة عندما قال: " قل لنفسك حين تقوم في الصباح :اليوم سألتقي من الناس من هو مُتطفّل، ومن هو جاحد، ومن هو عاتٍ وعنيف، وسأقابل الغادر والحسود، ومن يُؤثر نفسه على الناس. لقد ابتلى كل منهم بذلك من جراء جهلهم بما هو خير وما هو شرّ. أمّا أنا وقد علمت بطبيعة الخير وعرفت أنه جميل، وبطبيعة الشرّ وعرفته قبيحاً... وأدركت أنّ مرتكب الرذائل لا يختلف عني أدنى اختلاف في طبيعته ذاتها، فنحن ننتسب إلى نفس العقل وتفس القَبَس الإلهي. أمّا أنا وقد عرفت هذه القرابة، فلن يسوءَني أي واحد من هؤلاء ولن يعديني بإثمه. وليس لي أنْ أسخط عليه، فقد خُلقنا للتعاون، شأننا شأن القدمين واليدين والجفنين وصفّي الأسنان ". انظر:
أوريليوس، ماركوس: التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة وتصدير: أحمد عثمان، دار رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م، ص42.

اضطهاده أتباع الديانة المسيحية[1]، إذْ حمّل سكان روما هؤلاء المسيحيين مسؤولية الوباء على اعتبار أنّهم كانوا يزدرون الآلهة الرومانية فكانوا بالتالي سبباً لغضبها وتسليطها الوباء عليهم[2].

ومن المحتمل أنْ ماركوس أوريليوس لم يكن مقتنعاً بأفكار العامّة تلك، ولكنّه وجد نفسه مضطراً لمسايرتهم تفادياً لنقمتهم عليه، لذلك بدأ حملة اضطهاد بحقّ المسيحيين[3]. ويبدو أنّ حملة الاضطهاد تلك كانت عنيفة لدرجة دفعت جون فوكس(John Foxe) لتخصيص فصل كامل من كتابه " آثار الكنسية المسيحية" للحديث عن اضطهاد ماركوس أوريليوس للمسيحيين، واصفاً إياه بـ" الاضطهاد الرابع"[4].

2- إجراءات موجّهة إلى الاقتصاد الروماني:

على اعتبار أنّ الوباء أدّى إلى هجر مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة، لذلك فقد عمل الإمبراطور ماركوس أوريليوس على الاستفادة من الجماعات الألمانية التي وطّنها داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، بما يُسهم في استعادة القوّة الإنتاجية الزراعية[5].

وبما أنّ الوباء قد أثّر سلباً على الاحتياطات النقدية في الإمبراطورية الرومانية، فإنّ الإمبراطور كان بحاجة إلى تعويض النقص الحاصل في الخزينة، وقد أثبت قدرة

Marcus Aurelius; The Meditations of Marcus Aurelius Antoninus, edited by A. S. L. Farquharson (Oxford: Oxford University Press: Oxford World's Classics, 2008, p 10.

[1] Orosius; Histories against the Pagans, VII ,15, 4. .; Stephens. W; op, cit, p 41.

[2] أنديشة، أحمد محمد محمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص 62- 64.

[3] Tertullian; Apology, V, 1- 5. ; Wright. J; op, cit, p21.

[4] الاضطهاد الأوّل كان في عهد الإمبراطور نيرون، الاضطهاد الثاني كان في عهد الإمبراطور دوميتيان(Domitian)(81- 96م)، الاضطهاد الثالث كان في عهد الإمبراطور تراجان (Trajan)(98-117م) ، أمّا الاضطهاد الرابع فكان في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. انظر:
Foxe. J; The Acts And Monuments Of The Christian Church, Volume. 1, Ex-classics Project, 2009, pp62- 91. ; Evans. R; A op, cit, p93.

[5] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص285.

كبيرة في ذلك. وفي ضوء معرفته أنّ الشعب الروماني لم يكن يتحمّل فرض ضرائب جديدة نتيجة للأوضاع الصعبة التي كان يعاني منها بفعل الوباء والحرب الماركومانيّة[1]، لذلك لجأ الإمبراطور إلى خيار جديد وغريب، فقام بوضع يده على أحد الساحات الرئيسية في روما المعروفة باسم سوق تراجان، لمدة شهرين، وأقام المندوبون الإمبراطوريون أكشاكاً فيها، ونظموا مزادات عامة لبيع كامل مقتنيات القصر الإمبراطوري الأغلى ثمناً[2].

ويُورد المُؤرّخ أيوتروبيوس أنّ سلع المزاد شملت " كؤوس بلورية ومرمريّة، وفساتين حريرية مُطعّمة بالذهب، والعديد من الأحجار الكريمة، بما في ذلك قِطع من مجموعة جمعها الإمبراطور هادريان"[3].

وبالفعل، ساعد بيع هذه المقتنيات الإمبراطورية في الحصول على كميات كبيرة من الأموال ساهمت في تعويض النقص الحاصل في الخزينة الرومانية، ومكّنت الإمبراطور من خوض الحرب الماركومانيّة بما يتفق مع خططه.

3- إجراءات مُوجّهة إلى الجيش الروماني وتحركاته العسكرية:

كان على الإمبراطور ماركوس أوريليوس القيام بتحركات سريعة لتعويض النقص البشري الحاصل في الجيش الروماني، لذلك فقد قام بجملة من الإجراءات يُمكن تبيانها كما يلي:

أ- جنّد كل شخص قادر على حمل السلاح، من ضمنهم المصارعين[4].

ب- جنّد قطّاع الطرق، وقدّم لهم الأموال للانضمام إلى الجيش. وقُطّاع الطرق كانوا، بطبيعة الحال، خارجين عن القانون، لذلك لم يكن من السهل إخضاعهم للقوانين الصارمة للجيش الرومانيّ[5].

---

[1] رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ص 440.

[2] Historia Augusta, Marcus Aurelius, XXI, 9. ; XVII, 4- 5.

[3] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

[4] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص281.

[5] Wright. J; op, cit, pp 22, 23.

ج- جنّد العُتقاء[1] تحت اسم "المتطوعين".

د- جنّد من أراد الانضمام إليه من أبناء القبائل الجرمانيّة نفسها[2]، ومنحهم أراضي داخل الإمبراطورية كمكافأة على خدماتهم العسكرية[3].

هـ- أصدر قوانين جديدة لتشجيع الناس على الانخراط في الجيش. فقام بإلغاء قانون سابق يُمنع بموجبه الجنود من الزواج أثناء الخدمة العسكرية. كما أصدر قانون سمح بموجبه للفرد المولود من زواج غير شرعي بالحصول على الجنسية الرومانية من خلال الخدمة بالجيش الرومانيّ. ويُؤكّد صحّة هذا القانون، نقش مصري يعود للعام 168م يكشف أنّ هذا الإجراء تمّ بهدف تشجيع هؤلاء على الانخراط في الجيش[4].

ويذكر المؤرّخ باولوس أوروسيوس أنّ الإمبراطور ماركوس أوريليوس كان بحاجة لثلاث سنوات لجمع قوات كافية لشن هجوم مضاد ناجح ضد الجرمان[5].

قضى ماركوس أوريليوس ما تبقى من عهده على الحدود للحفاظ على الإمبراطورية المهددة بالفناء، ولكنه مرِض خلال الحملة، ومات في العام 180م [6].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ الإمبراطور ماركوس أوريليوس رفض زيارة ولده كومودوس له، ربّما خوفاً من إصابته بالعدوى، وقام بإرساله بعيداً عن المعسكر

وللوقوف على النظام العسكري الصارم في الجيش الروماني، وقساوة التدريب، وتدرّج العقوبات فيه، راجع: العمر، بديع: الجيش الرومانيّ البرّي في الفترة الإمبراطوريّة31 ق.م- 284م، رسالة ماجستير بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2010م، ص 365- 401.

[1] العتقاء: هم عبيد الماضي، أيّ أنّ المُعتق كان في الأصل عبداً، ولكن جرى تحريره من العبوديّة، وبالرغم من عدم حصول المُعتق الرومانيّ على كامل حقوقه إلّا أنّ بعضهم حصل على منزلة كبيرة وأحرز أموالاً طائلة كما هو الحال مع الطبيب أنطونيوس موسى وأخيه. وللوقوف على الوضع الاجتماعي والقانوني للعتقاء الرومان. انظر: حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، ص59.

[2] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص281.

[3] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXI, 6- 9.

[4] Inscriptiones Latinae Selectae, 2304.

[5] Orosius; Histories against the Pagans, VII .15, 6.

[6] أوريليوس، ماركوس: التأملات، ص22. ; الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص284.

العسكري، لذلك غادر كومودوس إلى روما فوصلها في خريف العام 180م[1]. وكانت الكلمات الأخيرة التي قالها الإمبراطور ماركوس أوريليوس لأصدقائه وهو على فراش الموت، خير تعبير عن صعوبة الوضع الذي سبّبه وباء أنطوني، فقال: " لماذا تبكونني؟ بدلاً من ذلك، فكروا في الوباء والموت الذي يُهددنا جميعاً" [2].

خاتمة:

تناول هذا البحث بالدراسة أحّد أشهر الأوبئة التي تعرّضت لها الإمبراطورية الرومانية بين عامي 166- 189م، هو وباء أنطوني. ومن خلال دراسة هذا الوباء، وتأثيراته على مجمل الإمبراطورية الرومانية، وعدد من الجوانب الأخرى، فإنّ هذه الدراسة المتواضعة قد خَلُصت إلى جُملة من النتائج أهمّها:

1- لم يكن وباء أنطوني هو الوباء الأول الذي يضرب الإمبراطورية الرومانية، بل تعرّضت لسلسة من الأمراض التي وثقتها المصادر التاريخية.

2- حاز وباء أنطوني على شهرة كبيرة واهتمام واسع نتيجة تشخيصه ووصفه من قبل الطبيب جالينوس.

3- كان وباء أنطوني نوعاً من أنواع الجدري التي تصيب الإنسان والحيوان، ولم يكن الطاعون. ولكنّ المصادر التاريخية كانت تجهل تشخيص الجدري، وعمّمت مصطلح" الطاعون" على جميع الأمراض الوبائية آنذاك.

4- بدأ وباء أنطوني في الشرق الأقصى وفي الصين بالتحديد، لكنّه انتشر عبر خطوط التجارة الدولية حتّى وصل إلى بلاد مابين النهرين ومنها إلى سورية وباقي أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

5- لعبت خطوط التجارة العالمية وتطوّر تقنيات السفر، والنشاطات المغلقة في المجتمع الروماني دوراً كبيراً في انتشار الوباء.

[1] Dio Cassius; Roman History, LXXIV, 6.

[2] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXVIII, 4.

6- أدّى وباء أنطوني إلى خسائر كبيرة في الأرواح، وحصد آلاف الضحايا من البشر والحيوان. ولكنّ العدد الإجمالي للضحايا لايزال موضع خلاف.

7- ترتّب على وباء أنطوني خسائر كبيرة في الاقتصاد الرومانيّ، فتوقفّت التجارة الدولية مع الشرق، وانخفضت قيمة العملة، وتوقفت عدد من المناجم عن العمل.

8- لم يعرف الناس المصدر الحقيقي للوباء لذلك نسبوه إلى غضب إلهي حلّ بهم بسبب أتباع الديانة المسيحية. هذا الأمر دفع الناس إلى التضرّع للآلهة من جهة، ودعوة السلطات الرومانية إلى اضطهاد أتباع الديانة المسيحية من جهة أخرى.

9- كان الجيش الروماني المتأثر الأكبر بالوباء، فاحتشاد الجنود في ثكناتهم ضاعف من عدد الإصابات، كما أنّ عدد الوفيات الكبير استنزف القدرة البشرية في الجيش الروماني وضاعف من الصعاب التي كان يتعرّض لها جرّاء هجوم القبائل الألمانية على الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية.

10- حاول الإمبراطور ماركوس أوريليوس التصدّي للوباء والتخفيف من آثاره، ففرض جملة من القوانين لتنظيم الدفن و التخفيف عن السكّان الرومان في معاناتهم جرّاء الوباء. وقد اختلفت تلك الإجراءات بين ماهو عقليّ وناجع، وبين ما كان متماشياً مع عقليّة الناس في تلك الفترة. تلك العقلية التي كانت تعزو جميع الكوارث إلى غضب الآلهة.

- قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر المُعرّبة:

1- أوريليوس، ماركوس: التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة وتصدير: أحمد عثمان، دار رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.

2- بلوتارك(فلوطرخوس): تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.

3- كاسيوس، ديون: التاريخ الرومانيّ، الكتب من 71- 80، ترجمة: مصطفى غطيس، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، تطوان، المملكة المغربية، 2013م.

4- لوقيانوس السميساطي: أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة: سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق، 1987م.

- المصادر الأجنبيّة:

1- سجلّات سلالة الهان الصينيّة(Hou Hanshu)، مع ترجمتها إلى اللغة الإنكليزيّة، وشروحها متوفّرة في:

Hou Hanshu; Edited by; Hirth. F; China and the Roman Orient: Researches into their Ancient and Mediaeval Relations as Represented in Old Chinese Records, Chicago: Ares, 1885, reprint: 1975.

2- Aelius Aristides.; Orations, Edited and translated by; Michael Trapp, Loeb Classical Library Cambridge : Harvard University Press, 2017.

3- Ammianus Marcellinus; Ammianus History(The Later Roman Empire) (AD 354-378). Translated by; Walter. W, Penguin,1986.

4- Appian; Roman History, Translated by Horace White, Cambridge: Harvard University Press, 1913.

5- Celsus: De Medicina, Translated by; W. G. Spencer, Loeb Classical Library, London and Cambridge, 1935.

6- Courtney. E; A Commentary on the Satires of Juvenal, London, 1980.

7- Dio Cassius; The Roman History, Translated by; Ian Scott-Kilvert, Penguin Ltd, London, 1987.

8- Dio Chrysostom; Orations, Translated by; Cohoon. J. W, Cambridge: Harvard University Press, 1961.

9- Eutropius; Abridgment of Roman History. http://www.forumromanum.org/literature/eutropius/index.html.

10- Galen; Method of Medicine, Edited and translated by; Ian Johnston, G. H. R. Horsley, Loeb Classical Library , Cambridge,: Harvard University Press, 2011.

11- Galen; On Examinations, Trans; Albert Z. Iskandar, Akademie-Verlage, Berlin, 1988.

12- Galen; On the mixtures and properties of simple drugs, on the natural faculties. Translated by Arthur John Brock. Cambridge: Harvard University Press, 1979.

13- Galen; Opera Omnia, Edited by Karl Gottlob Kühn, Cambridge University Press, 2011.

14- Herodian Of Antioch's; History Of The Roman Empire From The Death Of Marcus Aurelius To The Accession Of Gordian III, Translated by; Edward C. Echols, University Of California Press Berkeley & Los Angeles, 1960.

15- The Historia Augusta. http://penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/Historia_Augusta/, [Accessed 3rd May 2012- 31st March 2013].

16- Home; The Iliad, Translated by A. T. Murray, Cambridge: Harvard University Press, 1924.

17- Jerome; Chronicle, translated by; Donalson. M, New York, 1996.

18- Livy; History of Rome, Translated by; Foster. B. O, Harvard University Press, Cambridge, 1919.

19- Lucian; The works of Lucian, complete with exceptions specified in the preface, Translated by; Fowler. H. W. and Fowler, F. G, Clarendon Press Oxford, 1949.
20- Marcus Aurelius; The Meditations of Marcus Aurelius Antoninus, edited by A. S. L. Farquharson (Oxford: Oxford University Press: Oxford World's Classics, 2008.
21-Martial; Epigrams of Martial, Translated by; Sullivan. J. P and Whigham. P, Berkeley, University of California Press, 1987.
22 - Orosius; History, Edited by; Zangemelster. K, Teubner, 1887.
23- Ovid, Fasti, translated by; Kline. A. S.

http://www.poetryintranslation.com/PITBR/Latin/Fastihome.htm, [Accessed 3rd May 2012- 31st March 2013].
24- Pliny The Elder; The Natural History Of Pliny; Translated By; John Bostock and H. T. Riley. New York: G. Bell, 1890.
25- Strabo; The Geography, Translated by; Horace Leonard Jones, Loeb Classical Library, London and New York, 1930.
26 - Suetonius; Lives of the Caesars, Translated by; Catharine Edwards, Oxford: Oxford University Press, 2000.
27- Tacitus; Annales, Translated by; Sir Peterson. W., revised by; Winter bottom. M, Loeb Classical Library, Cambridge and London,1914.
28- Thucydides; History of the Peloponnesian War. Translated by Benjamin Jowett. Amherst: Prometheus Books, 1998.

- قائمة المراجع العربية:

1- أنديشة، أحمد محمد محمد: اضطهاد الأباطرة الرومان لأتباع الديانة المسيحية، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الأول، يونيو/ حزيران، 2014م.

2- جيبون، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.

3- حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان 117- 118، كانون الثاني- حزيران، دمشق، 2012م.

4- رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة ومراجعة: زكي علي و محمد سليم سالم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1957م.

5- سلامة، أمين: الأساطير اليونانية والرومانيّة، دار الفكر العربيّ، 1988م.

6- شحاته، قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م.

7- بن صراي، حمد محمد: الرومان ومنطقة الخليج العربي 25ق.م- 235م، مجلة دراسات كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 29، العدد 1، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2001م.

8- علي، جواد: المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.

9- العمر، بديع: الجيش الرومانيّ البرّي في الفترة الإمبراطوريّة31 ق.م- 284م، رسالة ماجستير بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2010م.

10- فرح، أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، الهرم ، 2002م.

11- كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1995م.

12- كلاوس، مانفريد: الإسكندريّة أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي أحمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2009م.

13- لورو، باترك: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008م.

14- المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ الطبّ عن الأمم القديمة و الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014م.

15- الموسوعة العربيّة المُيسّرة، ط3، المكتبة العصريّة، صيدا: بيروت، 2009م.

16- الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة،1991م.

17- يحيى، أسامة عدنان: السحر والطبّ في الحضارات القديمة، أشور بانيبال للكتاب، بغداد، 2016م.

- قائمة المراجع الأجنبية:

1- Avari. B; India: The Ancient Past A history of the Indian sub-continent from c. 7000 B. C to 1200 A. D, Rutledge, New York, 2009.

2- Ball. W; Rome in the East: the Transformation of an Empire, London: Routledge, 2000.

3- Bagnal. R. S; The effects of plague: model and evidence, Journal of Roman Archaeology No. 25, 2002.

4- Besser. M; Galen and the Origins of Experimental Neurosurgery, Austin Journal of Surgery, No. 1(2), 2014.

5- Birley, A; Marcus Aurelius, Taylor & Francis e-Library, New York, 2000.

6- Boak. A. E; Egypt and the plague of Marcus Aurelius, Historia 8.

7- Bunson. M; Encyclopedia of the Roman Empire, New York, 2002.

-Byrne. J; Encyclopedia Of Pestilence, Pandemics, And Plagues, Greenwood Press, London, 2008.

8- Carmichael AG. Universal and Particular: The Language of Plague(1348-1500), Medical history Supplement, No. 27.

9- Cambridge Companion to Galen, Cambridge University Press, 2008.

10- Castex. J; Architecture of Italy, Greenwood Press, London, 2008.

11- Christian. D; Silk roads or steppe roads? The Silk roads in world history, Journal of World History, No 11. 1, 2000.

12- Cunha. B; The Cause of the Plague of Athens: Plague, Typhoid, Typhus, Smallpox or Measles? Infectious Disease Clinics of North America, No. 18. 2004.

13- Chabrečková. B; Apollo and His Cult in the Geometric and Archaic Periods, Bachelor's Diploma Thesis, Masaryk University, Faculty of Arts Department of Archaeology and Museology, 2014.

14- Claridge. A; Rome. Oxford Archaeological Guide, Oxford, 1998.

15- Duncan-Jones. R; The Impact of the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology, No. 9, 1996.

16- Evans. R; A History of Pergamum Beyond Hellenistic Kingship, Continuum International Publishing Group, London: New York, 2012.

17- Sear F; Roman Architecture, Ithaca, Cornell University Press, 1982.

18- Foxe. J; The Acts And Monuments Of The Christian Church, Volume. 1, Ex-classics Project, 2009.

19- Harl. K; Coinage in the Roman Economy , Baltimore, 1996.

20- Hopkins. K; Models, ships and staples', in Garnsey, P. and Whittaker, C. R, Trade and Famine in Classical Antiquity, Cambridge shire: Cambridge Philological Society,1983.

21- Howgego. C and Butcher. K; Coinage and the Roman Economy in the Antonine Period: the view from Egypt, Online, 2013.

22- Howgego. C; The Supply And Use Of Money In The Roman World 200 BC–AD 300, Journal of Roman Studies, No. 82, 1992.

23- Jackson. R; Doctors and Diseases in the Roman Empire, British Museum Press, London, 1988.

24- Jones. G; The Roman Mines at Riotinto, The Journal of Roman Studies, Volume 70 , November, 1980.

25- Knapp. R; Invisible Romans Prostitutes, Outlaws, Slaves, Gladiators, Ordinary Men And Women…The Romans That History Forgot, Profile Books Ltd, London, 2011.

26- Littman. R; Galen and the Antonine Plague, The American Journal of Philology, Vol. 94, No. 3 , Autumn, 1973.

27- Liu. X; Ancient India and Ancient China: Trade and Religious Exchanges, 1–600 AD, Oxford University Press, Oxford, 1994.

28- López Pérez. R; Apolo y Dioniso: A favor y en contra. Revista Chilena de Semiótica, 10 (58–73), 2019.

29- Maire. B; Greek and Roman in Latin Medical Texts: Studies in Cultural Change and Exchange in Ancient Medicine, Leiden: Brill, 2014.

30- Manouchehri. J; Sport and physical Education in Mithra (Mitra) Religion and their Relations with Roman-Persian Wars, Advances in Environmental Biology Journal , No. 8, Tehran, 2014.

31- McLaughlin. R; Rome and the Distant East, MPG Books Group Ltd, New York, 2010.

32- McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, Pen & Sword Military, Great Britain, South Yorkshire, 2010.

33- McLynn. F; Marcus Aurelius: A Life, , MA: Da Capo Press, Cambridge, 2009.

34 - McNeill. W. H; Plagues and Peoples, Anchor Press, New York, 1976.

35-Mitrofan. D; The Antonine Plague In Dacia And Moesia Inferior, Journal of Ancient History and Archeology, No. 1- 2, 2014.

36- Morens. D and Littman. R; Epidemiology of the Plague of Athens, Transactions of the American Philological Association, No. 122, 1992.

37- Munoz-Sanz. A; Marco Aurelio Antonino (121-180 d. C.), filósofo y emperador de Roma, y la peste de Galeno, Enferm Infecc Microbiol Clin, 30 (9), 2012.

38- Nutton. V; Ancient Medicine, Routledge, New York, 2004.

39- Pollard. N; Soldiers, Cities, and Civilians in Roman Syria, Michigan University Press, 2000.

40- Raoult. D; Paleomicrobiology: Past Human Infections, Springer Science & Business Media, Berlin 2008.

41- Sabbatani. S , Sirio Fiorino; La peste antonina e il declino dell'Impero Romano. Ruolo della guerra partica e della guerra marcomannica tra il 164 e il 182 d.C. nella diffusione del contagion, Le Infezioni in Medicina, No. 4, 261-275, 2009.

42- Scheidel. W; A model of demographic and economic change in Roman Egypt after the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology No. 9, 2002.

43- Scott. S. Duncan. C, J; Biology of Plagues: Evidence from Historical Populations, Cambridge University Press, Cambridge, 2001.

44- Sidebotham. S; Berenike and the Ancient Maritime Spice Route, University of California Press, 2011.

45- Soupios. M. A; Impact of the Plague in Ancient Greece, Infectious Disease Clinics of North America, No. 18, 2004.

46- Stephens. W; Marcus Aurelius: A Guide For The Perplexed, Continuum International Publishing Group, New York, 2012.

47- Taco Terpstra. T; Trading Communities in the Roman World. A Micro-Economic and Institutional Perspective, Columbia Studies in the Classical Tradition, Leiden: Brill, 2013.

48- Tripolitis. A; Religions Of The Hellenistic-Roman Age, William B . Eerdmans Publishing Company, Cambridge, .

49- Warmington. E. H; The Commerce between the Roman Empire and India, Curson Press, London, 1928.

50- Wright. J; History's worst plagues and the heroes who fought them, Macmillan Publishing Group, LLC., New York, 2017.

51- Yankell. J; Roman Doctors From Charlatans To Wonder-Workers, Brandeis University, 2014.

52- Ziolkowski. A; The plundering of Epirus in 167 B.C.: Economic considerations, 1986.